
مداد
Medad Publishing & Distribution
أفضل دار نشر محلية لعام 2016
محمد الهبيلي
طلاسم نجسة
الإلحاد وإهانة الجنس البشري

طلاسم نجمة

الكتاب: طلاسم نجسة

المؤلف: محمد الهبيلي

تصميم الغلاف وإخراج الكتاب: مداد للنشر والتوزيع -دبي

الرقم الدولي للكتاب: ISBN 978-9948-23-352-7

الطبعة الأولى: 2017

تمت الموافقة على الكتاب من قِبل المجلس الوطني للإعلام بدولة الإمارات العربية المتحدة.

رقم إذن الطباعة: 185682



مداد للنشر والتوزيع

Medad Publishing & Distribution

دولة الإمارات العربية المتحدة - دبي





@medadpublishing

@medadpublishing

medadpublishing1

www.medadpublishing.com

e-mail: info@medadpublishing.com

إهداء

إلى أبي وأمي رحمهما الله.. إلى ابنتي رند وابني رعد.. إلى زوجتي أروى.. وكافة أفراد عائلتي الكريمة.

تحذير

الكتاب يحتوي على مواد عنيفة أو غير ملائمة، لذا لا يُنصح به لأقل من 18 سنة!

مُقدّمة

"دعني أخبرك ما الذي تقوله نظرية التطور بصوت عالٍ وبوضوح.. لا إله.. لا غائية.. لا حياة بعد الموت.. عندما أموت فأنا متأكد أني سأكون ميتاً.. هذه هي النهاية بالنسبة لي.. لا يُوجد مصدر مُقدس للأخلاق.. لا يوجد معنى للحياة.. ومعها لا تُوجد إرادة حرة للإنسان.. أنا مصاب بالسرطان.. لن أتعذب مثل أخي الذي عانى من نفس المرض.. سوف أقتُلُ نفسي قبل أن يحدث ذلك"[1].

أخذ أستاذ الأحياء الدكتور وليام بورفاين يُردد ما سبق بشكل هستيري وقد شخُصت عيناه وتقطعت أنفاسه وارتفع صوته.. وكأنه مصاب بلوثة عقلية! كان المشهد مأساوياً بكل معنى الكلمة .بصراحة.. لم أتعجب من ذلك.. فهذه هي ردة الفعل المتوقعة من شخص لديه تلك المفاهيم المدمرة.

كتب Damon Linker في مجلة The Week:

"إذا كان الإلحاد صحيحاً، فهو أبعد ما يكون عن الأخبار السعيدة، إننا وحيدون في الكون، لا أحد يجيب دعاءَنا، إننا نتاج مجموعة من الحوادث العبثية، إننا لا نملك كرامة أكثر من الحيوانات أو حتى المادة الجامدة، إن الموت والفناء هما كل ما هنالك، إن المعاناة عديمة المعنى، إن الحب لا يملك قيمة جوهرية، إن المجرمين الذين

---

(1) Expelled: No Intelligence Allowed.

أفلتوا من العقاب لن يُحاسبوا، وأكثر من ذلك بكثير"[1].

إنها العدمية تتجلى في صورتها البشعة.. أو مثلث برمودا الإلحادي بأضلاعه الثلاثة: المادية، والعدمية، والاكتئاب. مهما ادّعوا زوراً أن هذا ما يقوله العلم أو أنه الواقع الذي يجب أن نجد طريقاً للتعايش معه، تبقَ الحقيقة أن ذلك لا يتناسب مع طبيعتنا كبشر.. لا يتوافق مع قدراتنا العقلية ولا يُلائم فطرتنا. لو أن الوجود بلا غاية لما استطعنا فهم ذلك. لكننا لسنا هنا فقط.. بل نتأمل.. ونبحث.. ونفهم.. ونطرح أسئلة وجودية. طبيعتنا تلفظ العدمية بشكل فطري؛ ليس لأننا نحتكم للعاطفة كما يدّعون، أو لأننا نحب أن نعيش في وهم.. بل لأن "المنتج" البشري لم يُصنع لذلك، وإن أجبرتَهُ فستكون النتائج مدمرة؛ مثل جهاز تستخدمه لغير ما صُنع له فيكون مصيره التلف والخراب.

لذلك، لم أتعجب من إقدام الطالب الأمريكي جس كلقور على الانتحار بعد أن قرأ كتاب دوكنز "وهم الإله"، كما اعترفت بذلك مجلة New Scientist في 19 ديسمبر 2008، لم أتعجب من تصاعد نسبة الانتحار في الدول الملحدة لكونه أحد العوامل الرئيسية في الإصابة بمرض الاكتئاب، بل العجب كلُّ العجب ممن يستطيع مواصلة العيش مع هذا الفيروس الذي يهاجم خلايا الفطرة فيتركها أثراً بعد عين! قال تعالى: "**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ**" [سورة الأنبياء: 16].

---

(1) Where are the honest atheists? March 8, 2013.

اعترف الفيلسوف الأسترالي الملحد Bill Muehlenberg بهذه المعضلة في مقالة بعنوان "ثقل لا يطاق في عالم بدون إله"، قائلاً: "الإعلان والإيمان بأن الله قد مات لهما عواقب وخيمة".

وأشارت جريدة "نيويورك تايمز" إلى هذا الأمر قائلة: "حيثما وُجد الإلحاد زادت نسبة الانتحار، في فرنسا وبعد قيام الثورة وظهور عصر العقلانية، تم تسجيل معدل حالة انتحار واحدة من بين كل 2700 فرنسي"[1].

باختصار.. نحن لم نأتِ مجهزين فطرياً لتقبل ذلك.

أُطلبْ من صديقك أن يلاقيك غداً في العاشرة صباحاً بمكان ما لمدة 5 دقائق فقط.. سوف يسألك تلقائياً: لماذا؟ هو لا يقبل أن يضيع 5 دقائق من وقته دون سبب أو غاية تستحق ذلك، فكيف بمن يخبرك أن هذا الوجود كله بلا غاية أو سبب؟! على طريقة "اِعرفْ خصمك"، فإن هذا الكتاب هو بمثابة نزع القناع وإظهار الوجه الحقيقي للإلحاد، هو محاولة لكشف خطورة ما يروجون له الآن.. ما يقدمونه كبديل، والذي يمكن تلخيصه في أن الإلحاد هو المعيار الوحيد لصناعة المدينة الفاضلة والمجتمع المثالي.

المحتوى القادم ليس دفاعاً عن الله.. بل لتسليط الضوء على من يريدون أن يحلوا مكانه.

---

(1) نيويورك تايمز 17 سبتمبر عام 1894.

أصل الشّر

كيف حصل البشر على مفهومي الخير والشر؟ يكمل الفيلسوف الإنجليزي الكبير سي إس لويس (ملحد سابق):

"إنّ المرء لا يصف خطأً بأنه متعرج إلا إذا كان لديه مفهوم مسبق عن الخط المستقيم؛ فبماذا كنت أقارن هذا العالم عندما وصفته بأنه غير عادل؟ وإذا كان العرض كله سيئاً من الألف إلى الياء، فلماذا وجدت نفسي في ردة فعل عنيفة تجاهه؟ مع أنه من المفترض أني جزء من هذا العرض! لو قلت إن العدل ليس سوى من بنات أفكاري لانهارت حُجّتي ضد الله بالكامل؛ لأن ركن تلك الحجة كان قولي إن هذا العالم غير عادل.. إنني ـ وفي محاولتي لإثبات عدم وجود الله ـ تبيّنت لي حقيقة وجوده. الإنسان بإنكاره وجود العدل يُثبت وجود مفهوم العدالة. لولا معرفتنا بالنور لكان الظلام عديم المعنى"[1].

وكذلك أشار الدكتور مصطفى محمود ـ رحمه الله ـ إلى هذا المعنى في كتاب "رحلتي من الشك إلى اليقين" بقوله:

"إننا أمام حالة مراقبة فطرية وفكرة ملحة بالحساب، وإننا نعلم بداهة وبالفطرة أن العدل هو ناموس الوجود، ويؤكد أن ذلك الشعور الفطري يعادل برهاناً يقين العيان، فالفطرة عضو مثل

---

(1) Mere Christianity. Harper San Francisco, Zondervan Publishing House, 2001, pp. 38-39

العين؛ وكما الظمأ يدل على وجود الماء، فالظمأ للعدل دليل على وجوده".

من هنا يبدأ الربط بين القدرة الفطرية على تمييز الشر وبين مفهوم الخير والعدل المُطلق، والذي لابد أنه من خارج هذا الوجود؛ وإلا ما استطعنا التمييز. لو تعلمنا شيئاً من التجارب فلابد أن نعترف بأن الشر لا يرتبط بالعرق أو المعتقد. هذه حقيقة يجب التأكيد عليها أولاً وقبل كل شيء. فقد اختلفت المعتقدات.. اختلفت الأعراق، بل وحتى الأهداف.. وبقي الشر هو نفسه.

إذاً.. ما العامل المشترك هنا؟

أعتقد بأن الإجابة لا تخرج عن تهميش القيمة الموضوعية للإنسان، هذه هي المادة الخام للشر والتي تشتق منها بقية المواد.. عندما يُنظر للإنسان كأنه مجرد حثالة كيميائية لا قيمة ولا وزن ولا معنىً ثابتاً وموضوعياً لها.

لكن.. كيف يمكن النظر للبشرية بهذه الصورة؟

يقول الأديب الإنجليزي Jasper F.forde في رواية: The Eyre Affair:

"لا تقولوا بأني مجرم.. قاتل.. أنا فقط لديَّ معايير أخلاقية مختلفة".

من هنا تبدأ الإجابة ويُدق ناقوس الخطر. الشرور تأتي بكافة الأشكال والأحجام والألوان، ولكن كلها تشترك بشكل أو بآخر في الحط من القيمة الموضوعية للإنسان، والتي بدورها لا تتحقق إلا بواسطة نسبية الأخلاق. لو كنا مجرد حيوانات استطاعت

تطوير نوع من الوعي بالذات.. ولو كان الخطأ والصواب أمراً نسبياً.. فإنه لا يمكن تبرير أبشع الجرائم فقط، بل وجعلها صواباً أيضاً.

أما وجود قيمة موضوعية تتعالى عن الجسد.. وجود الروح، الحساب، المسؤولية، فيضع للأمر معياراً مختلفاً تماماً. لا أجد وصفاً يمكن أن يعبر عمّا سبق أفضل من كلام أحد أكبر القتلة المتسلسلين في تاريخ أمريكا الملحد، وآكل لحوم البشر جيفري دهامر عندما قال: "إنها عملية تدريجية لا تحدث بين ليلة وضحاها.. عندما تنظر للبشر وكأنهم مجرد أشياء لا قيمة حقيقية لها.. يكون من السهل أن ترتكب فيهم ما لا يجب فعله، إذا لم يكن هناك إله أنت مسؤول أمامه.. فلماذا ستغير من أخلاقك لتصبح ملائمة للآخرين؟"[1].

هذا السؤال الذي لا يستطيع ملحد على وجه الأرض أن يجيب عنه.

أثرُ الإلحاد لا يظهر بشكل مفاجئ أو سريع، بل يتمركز في اللاوعي ويترسّب لفترات طويلة، ثم يتحول إلى معاداة للدين قد تنفجر في صورة ممارسات إجرامية في أي لحظة. معاداةُ الدين هي أحد أكبر منتجات الإلحاد؛ لذلك أشعر بالخوف كلما سمعت من يقول إننا لا نحتاج للوازع الديني لتأسيس مجتمع صالح. مثل هذه الادعاءات لا تُقوّم مجتمعاً ولا تؤسس فضيلة.

---

(1) INSIDE EDITION interviewed Dahmer in 1993.

يقول فولتير: "إذا كان الله غير موجود، فسيكون من الضروري أن نختلق نحن واحداً"[1].

والمقصود أن الرادع الإلهي فطرة وضرورة حتمية لقيام المجتمعات المدنية، لدرجة أنه حتى وإن كان الله غير موجود فيجب علينا اختراعه. الشعور بأنك مُحاسب على تصرفاتك هو بمثابة الردع الذاتي.

عندما قام فلكي روسي بزيارة إحدى الجامعات الأمريكية لإلقاء محاضرة قال: "إما أن هناك إلهاً أو لا".. كان كلامه يبدو سطحياً جداً، لكنه أكمل:

"كلا الاثنين مخيفٌ جداً.. إذا كان هناك إله فيجب أن نخشى من أن نكون مسؤولين عن كل تصرفاتنا أمامه، وإذا لم يكن فنحن على كوكب يسير في الفضاء بسرعة 66 ألف ميل / س بلا عناية أو تحكُّم".

عندها قلت: هذا كلام عميق ومخيف بالفعل.

إذا كان هناك رهان خاسر فهو الرهان على الضمير. أقولها مع الأسف.. لكنها الحقيقة تظهر في ملامحها البشعة. قال تعالى: "**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**". [سورة الكهف: 28].

الضمير يترك الإنسان في مواجهة رغباته وهواه، فيضيع أمره إلا مَنْ عصمه الله.

---

(1) Voltaire [1768],"Epistle to the author of the book, The Three Impostors".

يقول د. جونسون/ جيمس بوزويل: "الناس فاسدون لدرجة أن قوانين الأرض والسماء غير قادرة على ردعهم عن الجرائم"[1].

عندما غاب القانون في أحداث الشغب في لوس أنجلوس مطلع التسعينيات من القرن الماضي، اندفعت الجموع لتكسير المحال وسرقة الممتلكات.. فأين الضمير؟ وعندما غاب الدين في أحداث الثورة الفرنسية أُرتكبت المجازر وخرج الناس لنصب المقاصل وتعليق الرؤوس.. فأين الضمير؟ لذلك كان حضور الرادع الإلهي بجانب القانوني بمثابة "الرصاصة الفضية" التي تقتل وحش الفوضى والعدمية. الوازع الديني الذي يُعد بمثابة جهاز "الصاعق الكهربائي" لإعادة تنشيط الضمير، وضخ الدماء في شرايين الرقابة الذاتية.

أثناء انعقاد مؤتمر "ما وراء الإيمان - العلم والدين والعقل والبقاء" عام 2007، وقف الفيزيائي الملحد ستيفن واينبرج ليقول: "سواء بدين أم لا، سوف يقوم الجيد بفعل الخير وسوف يقوم السيّئ بفعل الشر، لكن لكي يفعل الشرَّ شخصٌ جيد فهذا يتطلب ديناً". عقلية كبيرة علمياً، لكنها سقطت نتيجة تناول فلسفة فاسدة. وصدق آينشتاين عندما قال: "رجل العلم فيلسوف فاشل"[2].

ولنفهم سبب هذه السقطة من رجل ذكي، دعونا نحاول صياغة نفس الجملة السابقة بشكل آخر:

(1) كتاب "الإلحاد ومزاعمه العلمية" لفيلسوف العلوم ديفيد برلنسكي.

(2) Brainy quote.

سواء بالإلحاد أم عدمه، سوف يقول الذكي أشياء ذكية وسوف يقول الغبي أشياء غبية، لكن لكي يقول الذكي شيئاً غبياً فهذا يتطلب الإلحاد.

نحن لا نخفي رؤوسنا في الرمال ونعيش في حالة من النكران، لا شك في أن الدين يمكن أن يُستخدم لارتكاب الشر.. لكن العلم أيضاً يمكن أن يُستخدم بشكل سيِّئ، فهل نحارب العلم وندعي أنه سبب مآسي البشرية ونطالب بنفيه كما فعلوا مع الدين؟ نحن لا نقيس الأمور بهذه الطريقة الاختيارية المتحيزة. الإنصاف يتطلب حكماً موضوعياً، نحن نحكم على الأصل وليس على سوء الاستخدام، والأصل في الدين العدل والرحمة والمساواة ومقاومة مَنْ نصّبوا أنفسهم بمثابة الإله. أول مَنْ وقف في وجه الأنبياء هم الطغاة والجبابرة، وأول من تبعهم كانوا المستضعفين. لو أن الدين سبب الشر، فلماذا ظهر في أبشع صوره عندما استُبعد؟ يبدو الملاحدة الجدد كأنهم يعيشون في برج عاجي بمعزل عن القسوة التي تعجُّ بها صفحات التاريخ، والتي تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الإلحاد عندما حكم كان هو الأكثر إجراماً ودموية. عندما تستبعد الله تصبح أنت المقياس.. أو بمعنى أصح تتحول لإله نفسك. فهل هذا هو الإلحاد؟ نعم.. لكن مع نسبية الشر. الملحد إله نفسه حتى يمتلك السلطة.. عندها يُنصّب نفسه إلهاً على الآخرين، والأمثلة كثيرة. هنا يظهر ما أسميه بـ "الشر الموضوعي"، أو "الكابوس". ذكر الأديب الروسي ألكسندر سولجنيتسين الحاصل على جائزة نوبل 1970:

"منذ نصف قرن.. وعندما كنت لا أزال طفلاً صغيراً.. أتذكر أني سمعت مجموعة من كبار السن يتحدثون فيما يبدو كأنه تفسيرٌ للمآسي العظيمة التي تحدث في الاتحاد السوفييتي آنذاك: (لقد نسي الناس الله، لهذا يحدث ما نراه الآن)، من حينها وخلال الخمسين سنة الماضية عملت على توثيق ما حدث خلال الثورة البلشفية وما بعدها.. قرأت مئات الكتب.. وقابلت مئات الأشخاص.. ونتيجة لذلك كتبت 8 مجلدات.. وإذا طُلب مني تلخيص الأسباب في جملة واحدة فلن أجد أكثر بلاغة من الجملة السابقة: لقد نسي الناس الله"(1).

(1) Humber, Paul G. Stalin's Brutal Faith.

صندوق بان-دورا

"لقد أعطوا بان-دورا صندوقاً، ترجاها برمثيوس ألا تفتحه، لكنها فتحته، كل الشرور التي عرفتها البشرية خرجت منه"[1].

وقف سفّاح الثورة الفرنسية الملحد روبسبير أمام كاتدرائية نوتردام الشهيرة في باريس إبان قيام الثورة متسائلاً: "هل نهدم هذا البناء كما فعلنا مع بقية دور العبادة أم نتركه؟ لكن إذا هدمناه فسوف نزيل أحد أهم المعالم الأثرية في أوروبا، سيلعننا التاريخ! حسناً.. سوف نتركه ونسميه بناء العقل والمنطق! لا أعلم ما الذي يعنيه ذلك؟ لكن يبدو الاسم مناسباً، هيا نقتل الناس الآن!".[2]

المكان: فرنسا، الزمان، 1789 – 1794.

حصرياً.. وللمرة الأولى على صفحات التاريخ، الثورة العلمانية الفرنسية تقدم لكم رواية جديدة بعنوان: "المقصلة"، تلك الآلة المرعبة التي ابتكرها الطبيب جيلوتين.. الرواية من تأليف صالون الفلاسفة (هولباخ)، وبطولة الملحد روبسبير.. الاسم الأكثر رعباً في تاريخ فرنسا..

"بدأ روبسبير كمحامٍ وشخصية مفكرة راديكالية تدعو للإخاء والمساواة وحرية المعتقد، وذلك قبل توليه السلطة"[3].

---

(1) Kurt Vonnegut Timequake.

(2) David Berlinski - does atheism poisons everything.

(3) Thompson, J. M. "Robespierre,"vol. I, p. 174, Basil Blackwell, Oxford: 1935.

كحال الطغاة والجبابرة عبر التاريخ كان روبسيير يعتقد أنه لا يخطئ، وهو بالتأكيد مصدر القانون والتشريع، هو من يحدد الخطأ من الصواب، هو مصدر الأخلاق! وبما أن كل رواية تتميز بجملة محورية، فقد كانت الجملة المحورية لهذه الرواية المرعبة هي: "نبذ الأديان وعبادة العقل".

لو تعلمنا شيئاً من التاريخ، فسيكون أنه في كل مرة يُنصّب فيها العقل إلهاً، تبدأ ماكينة القتل في حصد الجثث. في 14 يوليو عام 1789 بدأت الثورة الفرنسية في أول ظهور للإلحاد المنظم في العصر الحديث، ومعها بدأت سلسلة من المجازر المروعة بقيادة روبسيير الذي بدأ بتفعيل أكبر الكوابيس في تاريخ فرنسا فيما يُعرف بعهد الإرهاب.

بالعلاقة بين حدث يسمّى "السبب" وحدث آخر يسمى "الأثر" بحيث يكون الثاني نتيجة للأول، فإن السبب في ظهور هذه الوحشية التي لم تعرف البشرية مثيلاً لها قبل ذلك كان نتيجةً لعملية حقن منهجية للشريان الاجتماعي في فرنسا استمرت أكثر من عقدين من الزمان، حيث تسبَّب ظلم الكنيسة الكاثوليكية وتسلطها على الناس في محاربة فكرة الدين، بل والوجود الإلهي نفسه. ولأن الرغبة تلد الفكرة، فقد استغلَّ صالون الفلاسفة الباريسي (هولباخ) (1750 – 1770) احتقان الناس ضد الكنيسة لبث فلسفتهم المادية ومعتقداتهم الشخصية.

هذا الصالون الثقافي كان يتصدره المؤرخ دينيس ديدرو، والروائي المعروف جان جاك روسو، والشاعر والفيلسوف الشهير فولتير.

من بين مجموعة من الأفكار المضيئة، نجحت فكرة مظلمة في المرور والانتشار بين الناس. هذه الفكرة تقول إن الله والدين يؤثران سلباً في رغد الحياة[1].

يقول دينيس ديدرو: "لا يوجد شيء يمكن الاعتماد عليه سوى الأكل والشرب والنوم والحب"[2].

وهذا غير مستغرب من شخص يعيش حياة ملوثة، منها علاقة جمعته بأختين كان يمارس معهما الرذيلة في نفس الوقت، من يدري؟! قد تكون هذه العلاقة بغرض البحث العلمي كما يدعون دائماً! جان جاك روسو كان بدوره يعتقد أن الأخلاق التي مصدرها الدين تستعبد الإنسان؛ لأنها تحدُّ من احتياجاته الطبيعية التي مصدرها الرغبة[3]. وبالرغم من ذلك فقد كان يرى "بعض" الخطورة في انتشار هذه الفلسفة العدمية التي تخلو من كل معنى وهدف، والتي أدت في النهاية إلى إصابته بالشك في كل مَنْ حوله، ومن ثم انسحابه من صالون الفلاسفة[4].

---

(1) A Wicked Company: The Forgotten Radicalism of the European Enlightenment.

(2) المصدر السابق.

(3) Linton, Marisa (August 2006). "Robespierre and the terror: Marisa Linton reviews the life and career of one of the most vilified men in history, (Maximilien Robespierre) (Biography)". History Today 8 (56): 23.

(4) المصدر السابق.

كذلك فولتير المجاهر بعدائه للدين كان متخوفاً أيضاً من انتشار العدمية، ولكن قد يكون هذا الخوف لأسباب شخصية، فقد اشتهر عنه أنه كان يؤكد على زوجته ألا تخبر الخدم في المنزل عن هذه الفلسفة حتى لا ينهبوا ممتلكاته[1].

هؤلاء الثلاثة بدورهم كانوا متأثرين بأفكار مونتسيكو) المتوفى عام (1755 وصاحب كتاب "روح القوانين"؛ ويكفي أن تقرأ الجملة التالية من نفس الكتاب لتفهم أي نوع من التأثر هو المقصود: "لو طُلب مني تبرير حقنا المكتسب في استرقاق السود، لقلت إن شعوب أوروبا بعد أن أفنت سكان أمريكا الأصليين، لم ترَ بدأً من استرقاق السود في إفريقيا لتسخيرهم في استغلال تلك البقاع الواسعة".

في الميثولوجيا الإغريقية.. تم حبس كافة الشرور البشرية داخل صندوق أُعطي لفتاة اسمها بان-دورا.. لكن لأنها تشعر بالفضول قررت فتح الصندوق برغم التحذير من عدم اقتراف هذا الفعل تحت أي ظرف من الظروف.. عندها تطايرت أعظم الشرور التي عرفتها النفس البشرية.

بالرغم من الفكر المتقد للأربعة، والمساهمة الفعالة والإيجابية في مجالات العلم والأدب والفلسفة والتي لا يمكن إنكارها، فإن فكرة معاداة الله والدين والحلم بصناعة المدينة الفاضلة عن طريق الفلسفة العدمية كانت بمثابة فتح لصندوق بان-دورا، وخروج نوع من

---

(1) سبق تخريجه.

الشر لم تعرف البشرية مثيلاً له حتى في أشدِّ كوابيسها وأكثرها ظلامية، تلك الكوابيس التي تجسدت وظهرت تدريجياً على شكل النازية والشيوعية والفاشية، التي ساقت البشرية إلى المذابح المليونية باسم التنوير والإصلاح السياسي والاجتماعي. معاداة فكرة الله تفتح صندوق بان-دورا، وتسمح بخروج فيروس الشر ومادته الخام. هذا هو الجانب المظلم الذي غالباً ما يتم التغاضي عنه عند تناول عهد التنوير.. الهلوسة بالعيش في "عالم جديد وشجاع يزأر" كما سماه هكسلي في كتابه بنفس العنوان، أو كما قال بلوم: "الرغبة والإثارة الجنسية ستجعلان العالم أغنى وأفضل". في هذا العالم الذي يخلو من الله لن يكون هناك ذنوب، لا ثواب أو عقاب، لا آخرة، لا شيء سوى البحث المجنون عن السُّلطة والمتعة. من هنا يمكن أن نفهم لماذا قام روبسيير بإرسال الجيش الثوري إلى المدن والقرى الفرنسية حاملاً معه المقصلة لتصفية أعدائه، أو بمعنى أصح: (المهرطقين أصحاب الأديان!).

من الروايات الموثقة التي تُروى عنه أنه في صيف عام 1792 خشي روبسيير من انضمام السجناء إلى المقاومة والجيوش الأجنبية، فأطلق يد المرتزقة في قتلهم بجميع المدن الفرنسية حتى من دون محاكمة، وبحلول السادس من أغسطس تم إعدام نصف السجناء في مدينة باريس وحدها، وبلغ عددهم من 1200 إلى 1400 سجين، منهم 233 من رجال الدين. وكأن هذا كله لم يروِ عطشه للدماء، فقام بإصدار قانون "المشتبه فيهم" عام 1793،

وذلك ليتمكن من حصد الأرواح بمجرد الشبهة ومن دون الحاجة لأي دليل. كان يقبض على المتهم في الثامنة ويحاكم في التاسعة ويُعدم في العاشرة؛[1] وهذا ما أسميه التطبيق العملي لفلسفة روسو "الذنب والبارانويا". بعدها تواترت السلسلة في السعي نحو المدينة الفاضلة التي تخلو من الله والدين: الصين، بولندا، يوغسلافيا، كمبوديا، فيتنام، رومانيا، منغوليا، ألبانيا.. إلخ.

إحدى الصفحات المشوهة في تاريخ الإنسانية كتبها ستالين عام 1933 حين ضربت المجاعة أوكرانيا "هولودمور" بفعل متعمد من قبل السلطات السوفييتية يهدف إلى الإبادة الجماعية، فكانت النتيجة أن ما بين (6 – 10) ملايين شخص قضَوا نحبهم خلال عام واحد فقط[2].

يقول ريتشارد بايبز في كتاب "لينين غير المعروف" على لسان لينين نفسه: "الجوع سيُقربنا إلى أهدافنا ويوصلنا إلى الاشتراكية، فالجوع لن ينهي اعتقاد الناس بالقيصر فقط، بل سيُنهي الاعتقاد بالله"، فكان أن سار التلميذ ستالين على وصية أستاذه لينين!

من القصص المروعة التي تروى عن "الهولودمور"، رسالة تلقاها شخص من صديقته الدكتورة جاء فيها:

---

(1) سبق تخريجه.

(2) Peter Finn (27 April 2008". (Aftermath of a Soviet Famine". WashingtonPost.com. Retrieved 21 July 2012. There are no exact figures on how many died. Modern historians place the number between 2.5 million and 3.5 million. Yushchenko and others have said at least 10 million were killed.

"المعاناة لا تقتصر على مقاومة الجسد فقط، بل والأخلاق أيضاً. لم أتناول لحم البشر، ليس بعد، ولكني لا أضمن أن أكون قد فعلت حال تلقيك رسالتي هذه.. الصالحون ماتوا أولاً.. أولئك الذين فضلوا الموت على أن يسرقوا أو يقترفوا المحرمات"[1].

وإمعاناً في المذلة والتهكم قامت الحكومة السوفييتية الملحدة بنشر إعلان يقول: "أكل أطفالك هو عمل بربري ممنوع"[2].

الحلم بصناعة المدينة الفاضلة بعيداً عن الله والدين عاشه اليابانيون أيضاً عندما اقتحموا مدينة نانجنغ في الصين عام 1937، والتي تُعد واحدة من أبشع الجرائم الوحشية على مر التاريخ.. كان الضباط اليابانيون يتنافسون على مَنْ يقتل عدداً أكبر في وقت أقل.. أما الجنود فقد كانوا مهووسين بالاغتصاب؛ حتى بلغ عدد الضحايا من النساء 20 ألف امرأة، لدرجة أن السم أصبح بضاعة رائجة، وكانت النساء يفضلن الموت على أن تنتهك أعراضهن. لقد كان الجنود يغتصبون أي فتاة يصادفونها بغض النظر عن عمرها، وكانوا يقتحمون البيوت بحثاً عن النساء، فكان الموت هو النتيجة إما عن طريق الحربة لمن ترفض، أو نتيجة الاغتصاب الجماعي[3].

---

(1) Timothy Snyder. Bloodlands: Europe Between Hitler and Stalin. Basic Books, 2010, pp. 50–51. ISBN 0-465-00239-0.

(2) Várdy & Várdy 2007.

(3) Paragraph 2, p. 1012, Judgment International Military Tribunal for the Far East.

ذكرت جريدة "التايم" الأسترالية: "لسنوات طويلة وهم يُعلمون اليابانيين بأنهم قد تطوروا بعيداً عن بقية الأعراق، ومن ثَم فقد صاروا العرق المفضل، كما قام العلماء اليابانيون بتقديم دراسات تثبت ذلك وتؤكد عليه.. وهذا قد يكون أحد أسباب الوحشية غير المبررة التي اشتُهر بها الجندي الياباني"[1].

بتاريخ 19 ديسمبر 1937 كتب القس جيمس.م ماكالوم (شاهد عيان): "لا أعرف متى سينتهي هذا، لم أرَ في حياتي مثل هذه الوحشية، اغتصاب، اغتصاب، اغتصاب، كان هناك معدل ألف حالة اغتصاب في اليوم، لقد كان السكان يعيشون في حالة من الهستيريا والفزع"[2].

ويتواصل السعي نحو المدينة الفاضلة في زمان ومكان آخرين.. ففي عام 1975 اجتاحت مليشيات الملحد بول بوت (زعيم الحركة الشيوعية المعروفة بالخمير الحمر) العاصمة الكمبودية بنوم بنه، وقررت تفريغ المدن وإجبار سكانها على الانتقال إلى الأرياف عبر مسيرات إجبارية للعمل في مشاريع زراعية. ثلاث سنوات من حكم هذا المجرم كانت كفيلة بالقضاء على ثلاثة ملايين شخص، أي ثلث السكان تقريباً! شيء لا يكاد يصدقه العقل[3]!

---

(1) Australian time magazine - 14 Aug 1995.

(2) Hua-ling Hu, American Goddess at the Rape of Nanking: The Courage of Minnie Vautrin, 2000, p. 97.

(3) William Shawcross, The Quality of Mercy: Cambodia, Holocaust, and Modern Conscience (Touchstone, 1985), p115-6.

من الصفحات المشوهة أيضاً "مذبحة سربرنيتسا" التي جرت تحت أنظار قوة حفظ السلام الهولندية وراح ضحيتها ثمانية آلاف شخص من مسلمي البوسنة والهرسك خلال شهر يوليو عام 1995، والتي تُعد واحدة من أبشع المذابح التي شهدتها القارة الأوروبية بعد الحرب العالمية الثانية. هذه الجريمة الكبرى كانت بدورها جزءاً من حلم المدينة الفاضلة "صربيا الكبرى"، الذي عاشه الملحد رادوفان كاراديتش زعيم صرب البوسنة، والجنرال الملحد رادكو مالاديتش، حيث قامت المليشيات التابعة لهما بجمع الرجال والأطفال في المزارع ومخازن الغلال بعد تعريتهم، ومن ثم بدأ القتل الجماعي بإطلاق الرصاص والذبح بالسكاكين وإلقاء القنابل اليدوية. يقول أحد الناجين إنه شعر بدفء شديد وهو تحت الجثث بسبب الدماء التي أحاطت به من كل مكان. وبعد أن توقف القتل والذبح بدأ جنود مالاديتش يتفحصون الجثث بحثاً عن أي شخص باقٍ على قيد الحياة، بينما تظاهر هو بالموت حتى صباح اليوم التالي، ثم قفز من الشباك وفر بعيداً عن المكان[1].

هذا الحلم الذي تحول إلى كابوس كان بعنوان "صربيا النقية عرقياً"، وهي نظرة داروينية إلحادية بامتياز قوامها التفاضل العرقي بين الأجناس البشرية.

---

(1) Institute for War and Peace Reporting, Tribunal Update: Briefly Noted (TU No 398, 18 March 2005).

66 تهمة بالإبادة الجماعية للمسلمين وُجهت إلى كاراديتش ومليشياته، ومعها أخذ مكانه في قائمة أكبر المجرمين القتلة عبر التاريخ البشري، وهي القائمة التي يسيطر عليها الملاحدة بلا منازع، كما يسيطرون على قوائم أشهر القتلة المتسلسلين.

بمحصلة سريعة، ما بين الأعوام 1917 إلى 2007 ظهر 28 نظاماً حكومياً، تولى رئاستها 89 زعيماً ملحداً.. قُتل خلالها 148 مليون شخص على يد 52 من الـ 89 حاكماً، وهذا أكثر بثلاثة أضعاف من ضحايا الحربين العالميتين والحروب الأهلية والجرائم المستقلة والعمليات الإرهابية مجتمعة خلال القرن العشرين.[1]

لو أنه نظامٌ واحدٌ أو نظامان أو حتى ثلاثة أنظمة لقلنا لعلها مجرد صدفة أن تكون ملحدة، لكنْ أمام هذه النسبة فإن ادعاء الصدفة يصبح إهانة للعقل. والتفسير المنطقي الوحيد الذي يتعامى عنه الكثيرون هو أن كل هذه الأنظمة كانت تسير بوقود من نوع "احتقار القيمة الموضوعية للجنس البشري"، وبمحرك من طراز "نسبية الأخلاق" بهدف الوصول إلى المدينة الفاضلة التي تخلو من الله والدين في طريقٍ مُعبّد بالدماء يمر من خلال أودية وجبال من الأشلاء والجثث؛

وهذه هي الممارسة العملية للإلحاد: "عندما تمارس نسبية

---

(1) Rummel, RJ (December 15, 2004). "The killing machine that is Marxism". WorldNetDaily. Retrieved May 19, 2010. The God Solution Book by James Beverley.

الأخلاق فأنت تمارس الإلحاد تلقائياً". مصطلحات مثل الإرهاب الجماعي، عمليات التطهير العرقي المُنظمة، طوابير العمل القصري، المجاعات المتعمدة، حقول القتل والإبادات المليونية، لم تعرفها البشرية سوى مع الأنظمة الملحدة، وكلها كانت مبررة في السعي نحو المدينة الفاضلة.

ما سبق كان مجرد سطور معدودة من سلسلة رواية الرعب الأكثر دموية في التاريخ وعنوانها "عبادة العقل".. نفس الراوية تعود بإصدار "شعبي" أكثر خطورة، ونفس الحلم الذي يعِدُ بصناعة المدينة الفاضلة يعاود الظهور مرة أخرى.. الكابوس يعود من جديد.

الأصولية العلمانية

ليست الوحوش ذات المخالب كما يتصور الأطفال، بل وحوش بملامح بشرية، يرتدون ملابس هشة ويسيرون ببراعة، لن تتعرف إليهم إلا بعد فوات الأوان[1].

الإلحاد الجديد هو حركة اجتماعية وسياسية تصنف لمصلحة الإلحاد والعلمانية، ويروج لها مجموعة من الكتاب الملحدين المعاصرين الذين يدعون إلى وجهة نظر تفيد بأنه: "لا ينبغي التسامح مع الدين، بل يجب التصدي له وانتقاده والتعرض له بالسخرية والاستهزاء".

تتداخل حركة الإلحاد الجديد مع الإنسانية العلمانية واللاألوهية، ولا سيما في انتقادها لما يسميه الملحدون بالتلقين المُذهب للأطفال "إيمان الوراثة". ظهر مصطلح "الإلحاد الجديد" للمرة الأولى عام 2006 في Wired magazine، وذلك بعد ظهور ستة كتب مصنفة من ضمن (الأكثر مبيعاً) خلال الفترة ما بين (2004 – 2008) كان أهمها:

سام هاريس: "نهاية الإيمان"، الذي استُلهم من أحداث 11 سبتمبر الإرهابية، ثم أتبعه بكتاب: "رسالة إلى الأمة المسيحية".

ريتشارد دوكنز: "وهم الإله"، وخرج بعد سلسلة وثائقي: "الدين جذر الشر"، واستمر الكتاب لمدة 51 أسبوعاً ضمن الكتب (الأكثر مبيعاً) حسب تصنيف "نيويورك تايمز".

---

(1) Miss Peregrine's Home for Peculiar Children Ransom Riggs.

كريستوفر هتشنز: "الإله ليس عظيماً"، ثم دانييل دانييت: "كسر التعويذة".

عام 2010، وفي أثناء المناظرة الشهيرة بين الملحد كريستوفر هتشنز والكاتب السياسي دينيش داسوزا (The God debate)، تم إطلاق مصطلح "فرسان القيامة الأربعة" على هاريس ودوكنز وهتشنز ودانييت؛ وذلك تيمناً بأربعة فرسان ذُكروا في الإصحاح السادس لسفر "رؤيا يوحنا" في الكتاب المقدس المسيحي، وهم فرسان الصراع والحرب والمجاعة والموت.

قائمة الملاحدة الجدد تضم مجموعة كبيرة في مجالات مختلفة، منهم على سبيل المثال: أستاذ البيولوجيا جيري كوين، الفيزيائي لورانس كراوس، رئيس منظمة الملاحدة الأمريكيين ديفيد سلفرمان، والإعلاميان بيل ماهير ومات ديلهونتي.

الإلحاد بمعناه الكلاسيكي يتقاطع مع الإلحاد الجديد في أن كليهما يفتقد للإيمان بالوجود الإلهي، غير أن الأخير لا يكتفي بذلك، بل تحول إلى حركة نشطة معادية للدين تطالب بنفيه من المجتمعات وتروج لمحاربته وتدعو الناس إلى ذلك، وتزرع في أذهانهم أن الدين هو أخطر ما يواجه البشرية ويجعلها غارقة في الظلام. هذا الأمر ينقل الإلحاد الجديد من خانة الإلحاد الكلاسيكي إلى خانة الإلحاد المتشدد أو المعادي للإيمان، وهو المصطلح الذي سجل أول ظهور له في قاموس أكسفورد عام1833 م[1]، ثم تحقق على

(1) The Shorter OED (1970 reprint) page 78.

أرض الواقع بأيدي مجموعة من الشخصيات، مجرد ذكرها كفيل بإثارة الرعب في النفوس مثل: روبسبير ولينين وستالين وموسوليني وماو تسي وبول بوت وغيرهم.

لذلك فإن وصف البعض للإلحاد المنتشر الآن بأنه "جديد" فيه نوع من التضليل، وذلك حتى لا يتم ربطه بالإلحاد المعادي للإيمان (سيّئ السمعة)، المرتبط بسلسلة من أبشع الجرائم التي عرفتها البشرية على مر التاريخ، والتي كانت معاداة الدين فيها بمثابة الوقود المحرك. من هنا نتوصل إلى التفريق بين الإلحاد كوجهة نظر شخصية لا يجب الترويج لها ولا تهتم بمهاجمة الأديان (الإلحاد السلبي)، وبين الإلحاد بمعنى معاداة الإيمان والترويج للإلحاد (الإلحاد الإيجابي).

هتشنز إحدى أيقونات ما يُعرف بالإلحاد الجديد أشار لهذا الفرق عندما قال: "أنا لست ملحداً بقدر كوني معادياً للإيمان"[1].

تصنيف الإلحاد الجديد في خانة معاداة الدين ليس سراً، يقول سام هاريس: "لو امتلكتُ عصاً سحرية وخُيرت بين التخلص من الدين أو الاغتصاب، فإنني لن أتردد في التخلص من الدين"[2].

أما دوكنز فيقول: "أنا ملحد متشدد، مع درجة معقولة من العدائية ضد الدين، هذه العدائية بدأت في سن السادسة عشرة، ثم كانت أقل وأنا في العشرينيات والثلاثينيات، لكني عُدت

(1) Letters to a Young Contrarian (2001).

(2) The sun SEPTEMBER 2006 | ISSUE 369.

للتشدد من جديد"[1]. (قد يكون احتاج للمال والشهرة).
من يبحث في الإلحاد الجديد لن يجد مشقة تُذكر في الوصول إلى أنه يدعو إلى نفس المنهجية التي قامت عليها المنظمات الإلحادية الأصولية في الدول الشيوعية، على سبيل المثال: "عصبة الإلحاد المتشدد" في الاتحاد السوفييتي، التي أُنشئت عام 1929، وكانت منظمة ملحدة غير ربحية معادية للدين، بلغ عدد أعضائها آنذاك نحو ثلاثة ملايين ونصف المليون شخص من 100 جنسية مختلفة، من العمال والسياسيين والعلماء والمثقفين، وتوزعت من خلال 29 ألف مكتب في كافة أرجاء الاتحاد السوفييتي، حيث توفر الدعم السياسي والقانوني والإعلامي لقضية الإلحاد[2].
يقول لينين: "برنامجنا يتضمن بالضرورة الترويج للإلحاد"[3].
ساهمت الأيديولوجية الماركسية اللينينية في ظهور هذه المنظمة المتشددة لكونها جعلت الإلحاد هو المذهب الرسمي للاتحاد السوفييتي، ومن ثَمَّ فقد أخذت على عاتقها محاربة الأديان وقمعها، والقضاء على كافة المعتقدات الدينية بما فيها تدمير المساجد والكنائس، وعلى رأسها الجامع التاريخي Bibi heybat في أذربيجان،

---

(1) Bass, Thomas A. (1994). Reinventing the future: Conversations with the World's Leading Scientists.

(2) Daniel Peris, Storming the Heavens: The Soviet League of the Militant Godless Cornell University Press, 1998.

(3) Lenin Collected Works, Progress Publishers, 1965, Moscow, Volume 10, pages 83-87.

والمبني في القرن الـ 13، وكاتدرائية المسيح التاريخية في موسكو، التي تم نسفها بالديناميت.. وكذلك التعرض للقيادات الدينية بالمضايقات والاختطاف وتنفيذ أحكام الإعدام، (أشهر ضحايا هذه السياسات كان القس نيكولاي كامارا الذي اعتقله جهاز المخابرات السوفييتية KGB وقام بقطع لسانه وتعذيبه حتى الموت). كما أغرقت وسائل الإعلام والمدارس والجامعات بتعاليم الإلحاد، وروجت له على أنه الحقيقة التي يجب على المجتمع تقبلها، وكان ملايين المسيحيين والمسلمين ضحايا لهذه الأيديولوجية المتعصبة للإلحاد.

بمقارنة بسيطة بين "عصبة الإلحاد المتشدد" ومنظمة "ملحدو أمريكا" على سبيل المثال، سنجد أنهما تشتركان في العديد من الجوانب، فكلتاهما تتبنى وجهة النظر الإلحادية "لا يوجد إله"، وكلتاهما تحمل العداء للدين، وكلتاهما تروج للإلحاد، وكلتاهما ترى أن العلم التجريبي هو المصدر الوحيد للمعرفة وهو ما يُعرف بالعلموية، وكلتاهما تسعى لتكريس الصورة النمطية التي تقول إن الدين والعلم يجب أن يكونا في حرب دائمة.

	الإلحاد	معاداة الدين	الترويج للإلحاد	العلموية	الشيوعية
العصبة	✓	✓	✓	✓	✓
ملحدو أمريكا	✓	✓	✓	✓	✗

هذه الأيديولوجية الملتزمة بمحاربة الدين ونشر الإلحاد لم تقف عند الاتحاد السوفييتي فقط، بل امتدت إلى العديد من الدول والأنظمة الملحدة، فمثلاً عند إعلان جمهورية الصين الشعبية ومع وصول الحزب الشيوعي إلى رأس السلطة عام 1948، قام الحزب مباشرة بتنفيذ منهجية للسيطرة على انتشار الأديان وتدميرها بالكامل، ومنع كافة الممارسات الدينية، حيث دمرت المساجد والكنائس وكافة دور العبادة، واعتبرت الحكومة الصينية اقتناء أي كتب دينية بمثابة الجريمة التي يعاقب عليها القانون[1]، كما ذهب أكثر من ثلاثة ملايين ونصف المليون شخص ضحايا لهذه المنهجية[2]. مثال آخر ظهر في كمبوديا، فعند وصول الخمير الحمر إلى السلطة، صدرت الأوامر على الفور بإعدام أي شخص يمارس العبادة، ونتيجة لذلك سِيق عشرات الآلاف من المسلمين والمسيحيين وغيرهم إلى حقول الإعدام وميادين القتل الجماعي[3].

في أوروبا فقط، ومنذ قيام الثورة الفرنسية وصولاً للعام 1941، تم تدمير وإغلاق 40 ألف كنيسة و25 ألف مسجد[4]. وهذه صفعة للادعاء القائل إن جرائم الشيوعية الملحدة ليست لها علاقة بالإلحاد وتوأمه السيامي نظرية التطور، إذ تقوم الشيوعية

---

(1) The Price of Freedom Denied: Religious Persecution and Conflict in the Twenty-First Century (Cambridge Studies in Social Theory, Religion and Politics).

(2) 1999) Encyclopedia of Genocide, Volume I.

(3) Chronology, 1994-2004 - Cambodian Genocide Program - Yale University.

(4) Cambridge U press, "Orgins and developments", Allan Todd.

على "المفهوم الجدلي" في الصراع، الأمر الذي جعل من نظرية التطور وتكريسها لمفهوم الصراع في الطبيعة بمثابة الدعم العلمي للشيوعية الملحدة، وهذا ما أشار إليه تروتسكي عندما قال: "اكتشاف داروين هو أعلى انتصار بالكامل للمنطق الجدلي في مجال المادّة العضوية"، كما أن ماركس كان معجباً بنظرية داروين حيث قال في رسالة إلى صديقه فريدريك أنكلز: "هذا هو الكتاب الذي يحتوي على أسس التاريخ الطبيعي لآرائنا"[1].
جاء في وثيقة نُشرت إبان عهد ستالين قبل أن يُعاد نشرها في كتاب "معالم في حياة ستالين" قوله:
"هل تعلم؟ لقد خدعونا، ليس هناك إله، سأقرضك كتاباً سوف يريك كيف أن العالم وكل الكائنات الحية مختلفون عمّا تتخيل، وكيف أن كل هذا الكلام عن الله لا معنى له.
سألته: أي كتاب تقصد؟
أجاب: داروين.. لابد أن تقرأه"[2].
لم يعد الإلحاد يعني عدم الإيمان بالوجود الإلهي أو حتى نقصان الأدلة على ذلك، بل تحول إلى فلسفة "سوقية" تحتفل بالإهانة وتحرض على الكراهية وتروج للانتقام، وتضع منهجاً عدائياً متكاملاً ضد الدين وكل من يعتنق الديانات. لذلك واجه الإلحاد الجديد

(1) Alan Woods and Ted Grant. "Marxism and Darwinism", Reason in Revolt: Marxism and Modern Science, London, 1993.

(2) E. Yaroslavsky, Landmarks in the Life of Stalin (Moscow: Foreign Languages Publishing house, 1940), pp. 8-12.

العديد من الانتقادات، ليس من أهل الأديان فقط، بل وحتى من الملاحدة واللاأدريين أنفسهم، ومنهم Chris Hedges، الكاتب صاحب الكتب الأكثر مبيعاً حسب "نيويورك تايمز"، والناشط السياسي الحاصل على العديد من الجوائز، ومنها جائزة منظمة العفو الدولية لحقوق الإنسان في كتابه "عندما يتحول الإلحاد إلى دين، الأصولية الأمريكية الجديدة"، وفيه يهاجم التطرف الذي يكسو الإلحاد الجديد، ويبين أن الحجج التي يقدمها الملاحدة الجدد ضد الأديان هي حجج سطحية جداً وأقرب إلى الطرح الطفولي.

كذلك Stephen LeDrew أستاذ علم الاجتماع والباحث في مركز الأديان والمجتمع التابع لجامعة Uppsala في السويد في كتابه "تطور الإلحاد، سياسة الحركة الجديدة"، والذي يصف نفسه فيه بأنه ملحد يقف في وجه الإلحاد الجديد.

ومنهم أيضاً الكاتب الأسترالي الملحد والناشط السياسي والاجتماعي CJ Werleman في كتابه "تهديد الملحدين الجدد، الشروق الخطير للأصولية العلمانية"، ويذكر فيه أن الملاحدة الجدد مصابون بفوبيا كراهية الإسلام أكثر من غيره من الأديان، ويشير إلى أن أعمالهم تخدم المتطرفين الإرهابيين ممن ينتمون للإسلام من جهة، وتقدم أيضاً خدمات كبيرة للإرهاب الإسرائيلي ضد الفلسطينيين من جهة ثانية.. وغيرهم من الكتاب في مختلف المجالات.

الإلحاد الجديد هو الوجه الأصولي البشع للعلمانية؛ فنفس الوجه الذي ظهر مع قيام الثورة الفرنسية وفي بدايات القرن الـ 20 يعود للظهور من جديد، ولكن بشكل أوسع انتشاراً في عملية منظمة تنشر ثقافة العدائية والبلطجة والتحجر الفكري، وتصنع أتباعاً مختلين ذهنياً وثقافياً واجتماعياً، بل وحتى إنسانياً.

سايكوبات "مختل نفسياً"

كان المنظر شبيهاً بجلسة لطرد الأرواح الشريرة في روايات الرعب الشهيرة.. شاهدتُ مقطع فيديو لمراهق أمريكي يمر أمام شخص يحمل لوحة تدعو لدينه.. وفجأة ومن دون سابق إنذار بدأ هذا المراهق في الصراخ بشكل هستيري وشتم هذا الشخص، بل وحاول الاعتداء عليه قبل أن يتدخل المارة لإبعاده بالقوة.

إن ما جعلني أبحث في صفة السايكوباثية (الاختلال النفسي) عند الملحدين هو حوار مفتوح قرأته على موقع "ريديت" الشهير "ناظر ملحد" بعنوان: "هل لورانس كراوس سايكوباث"؟ وفيه احتدم الجدل بين الأعضاء حول هذا الموضوع لعدة أشهر. إذا سألتك: ما أكثر كلمة يصف بها الملاحدة أنفسهم؟ ستكون الإجابة هي (العقلانية).. ضعها بين قوسين وأكمل القراءة..

نشرت جريدة "التليجراف" في تاريخ 6 أبريل 2014 مقالاً بعنوان: "سايكوبات، كيف تميز أحدهم؟"، جاء فيه: "نحن نعتقد أن السايكوبات هم القتلة فقط.. لكن الحقيقة هي أنهم قد يكونون في أي مجال: الكلية، الأصدقاء، المنزل. هم يعتقدون أنهم أكثر (عقلانية) من الآخرين" (هل لاحظت الكلمة؟).. نكمل المقال: "من أهم سمات هذه الشخصية أنها جذابة، ذكية، وقحة، مراوغة، نرجسية.. لا تشعر بالندم، لا تخجل، لا تعترف بالخطأ.. تأخذ سلوكاً مضاداً للمجتمع، قاسية تستمتع بجرح مشاعر الآخرين".

ذكر أستاذ علم النفس الجنائي روبرت هير: "السايكوبات يعتقد أنه أكثر (عقلانية) من الآخرين".

عندما جلست مع أحدهم قال لي إن مشكلته مع المجتمع تكمن في أنه يفكر بعقله أكثر من عواطفه، ثم أكمل بسخرية قائلاً: "ما الذي يمكنني فعله تجاه ذلك؟! هل ينبغي أن أذرف الدموع؟!".

هي باختصار أكثر الشخصيات تعقيداً وصعوبة في التعرف إلى صاحبها، حيث إن المختل نفسياً يجيد تمثيل دور الإنسان العاقل، وله قدرة على التأثير في الآخرين والتلاعب بأفكارهم.

وكأنه يصف مشاهير الإلحاد الجديد!.. السايكوباثية عمياء لا تميز، ولكنها مع الملحد تضع قواعدها وترفع أركانها.. فهي تستخدم نفس مادة الشر الإلحادية، وأعني إهانة الجنس البشري وإعلاء الذات، تهميش الغائية من الوجود وانحصارها في الغايات الشخصية. اِجمع بين العقلانية والصفات السابقة وسوف يتجسد الإلحاد أمامك وينتقل من العالم الافتراضي إلى عالمنا المحسوس!

الديكتاتور الصيني ماو تسي هو بمثابة النموذج للشخصية السايكوباثية المعادية للدين أو المعادية للدين السايكوباثية، لا فرق، فكلتاهما تعضد الأخرى.. عندما قتل هذا المختل 40 مليون شخص وهو يعد بالإصلاح الزراعي صارت الأرض خصبة.. فخرج الثمر ملوثاً بالدم؛ لأن الجثث لا تعدو كونها مصدراً جيداً لخصوبة الأرض!.. في عالم الإلحاد لا تملك إلا الثناء على هذه الفلسفة الاقتصادية!

الديكتاتور الملحد ثان شوي، الذي تولى الحكم في ميانمار ما بين الأعوام 1992 إلى 2011، هو نموذج آخر للسايكوباثية الملحدة عندما تملك السلطة وتُشرع القوانين. نوع فريد من الاختلال على الطريقة الإلحادية ظهر عام 1978 حين أقدم 900 شخص (بينهم نساء وأطفال) على انتحار جماعي في غيانا – جونز تاون، وذلك بعد أن أجبرهم زعيمهم الملحد جيم جونز على القيام بعملية "الانتحار الثوري"، وذلك بعد أن أسس طائفة تدعو إلى الإلحاد، وأقام لها مقراً أطلق عليه "معبد الشعب"[1]. وهذا ضرب من الجنون لم تشاهد البشرية مثيلاً له ولا يمكن تصور مبرراته. هل تعلم كيف أجاب الملحد بول بوت عند سؤاله: لماذا قتلت ثلث سكان كمبوديا؟ قال: "ضميري مرتاح، من يستطيع أن يثبت العكس عندما يتعلق الأمر بالمنطق العقلاني.. منطق المصلحة العامة؟!".[2]

ومعه كل الحق! في عالم الإلحاد من يستطيع أن يثبت خطأه؟ ألسنا مجرد حادث عرضي؟ أو كما قال دوكنز: "البعض منا سيتأذى، والبعض الآخر سيكون محظوظاً، لا خير، لا شر، لا شيء سوى اللامبالاة بلا شفقة، الجينات لا تعلم ولا تهتم ونحن فقط نرقص على أنغامها"[3]. كلمات مخيفة تجسد المعنى الحقيقي

(1) "41Jonestown Audiotape Primary Project". Alternative Considerations of Jonestown and Peoples Temple. San Diego State University.

(2) New York Times/ 23-10-1997.

(3) دوكنز - نهر من عدن / ص 133.

للقسوة وغلاظة القلب، تلك القسوة التي ظهرت جلياً في رسالته إلى ابنته عندما كانت في العاشرة من عمرها، والتي خلت من كل مصطلحات الأبوة والحنان والعاطفة[1]!

في سبيل إثبات دين التطور، لن يتردد هؤلاء في تبرير القسوة، بل حتى في تبرير الإجرام وخلق كارثة اجتماعية بكل المقاييس. إذا كنا مجرد روبوتات تتحكم فيها الجينات، فلماذا نحاكم السفاحين وقد وُلدوا قتلة كما يولد الشاعر وهو يتغنى بقصيدته؟! جملة كان يرددها السَّفاح H.H.Holmes وهو في طريقه للإعدام.. وكذلك عندما صرخ السَّفاحAndrie Chicatilo : "نحن غلطة الطبيعة.. نحن وحوش غاضبة"، ارتعدت فرائص الحرس من حوله وهم يرون أمامهم مسخاً أو كائناً انتقالياً تجرد من كافة القيم الإنسانية لأنه لا يرى قيمة للإنسانية ولا يعترف بالإرادة الحرة.

إذا شعرت برعشة باردة تجتاح عظامك، فسوف تعجز أبشع الكوابيس عن أن تشعرك ولو بجزء من تصور اجتياح الإلحاد للمجتمعات البشرية. فقط.. تخيل جيلاً ينشأ منذ الطفولة على فكرة العدمية ونسبية الأخلاق، وأنه لا يوجد شيء اسمه خطأ موضوعي! ما الذي سيحدث إذا اجتاحت العوامَّ ثقافةُ صراع البقاء والأصل الحيواني للإنسان؟ هذه هي مادة الشر الخام، وهذا معمل "إنتاج" الوحشية المفرطة. "المعاتيه" والقتلة والمجرمون موجودون في كل المجتمعات، حتى في المجتمع الإسلامي، نعم.... نحن لدينا "معاتيهنا" أيضاً.

---

(1) The Irrational Atheist. Chapter VIII DARWIN'S JUDAS by Vox Day.

لكن عندما تجلس مع أحدهم لتحاوره وتخبره عن حرمة الدم وأنها أشد عند الله من هدم الكعبة، قد يرتدع ويفهم خطأه على أساس موضوعي، وهو ما حدث بالفعل مع العديد من الذين ينتمون للجماعات الإرهابية الذين تابوا من هذا الفكر الضال، وعادوا للانخراط في المجتمع كأفراد صالحين.

ديننا يملك الأرضية الصلبة والأساس الثابت الذي لا يتزعزع مهما اختلفت الأنظمة والقوانين وبغض النظر عن الأسباب، لكن السؤال: كيف يمكن أن تقنع من يؤمن بنسبية الأخلاق بأنَّ قتل الأبرياء خطأ في ذاته؟ كيف تثبت القيمة الموضوعية للبشر من خلال نظرية التطور؟ كيف تشرح مصطلح "قدسية" الدم في لغة لا تحتوي على هذه المفردة؟ في رؤية لا تعترف بوجود الروح التي تسمو على أنزيمات الدماغ؟ كيف تزرع فيه الرادع الذاتي الأشد تأثيراً والمتمثل في أنه سيقف يوماً للحساب بين يدي ملك الملوك حتى وإن لم يُعاقب على جرائمه في الدنيا؟ هنا يقف الإلحاد عاجزاً تماماً وغير قادر على تقديم الحجة الموضوعية للخطأ والصواب.

عندما تشاهد مشاهير الإلحاد الجديد تشعر بأنهم يتحدثون وكأنهم قد دمروا الدين وانتهى الأمر! وهذا أيضاً نوع من الاختلال النفسي المصحوب بالهلوسة، والتي يتصورها الملحد ويقنع بها نفسه ليرضي رغبته المدمرة في القضاء على الدين، تلك الرغبة التي تأكل لحمه وتنخر عظمه ليل نهار. هم يتصرفون مثل

العلماء المختلين الذين نقرأ عنهم في روايات الرعب الساخر..
يُهمّشون من إنسانية المؤمنين بالله وكأن لديهم مهمة محددة
هي القضاء على الدين، ومسحه من على وجه الأرض للأبد.
مثل أي طائفة.. ستجدهم ميَّالين إلى الفصل (نحن ضدهم) مع
نظرة ضيقة ترى الآخر سلبياً، جاهلاً، غبياً يجب إقصاؤه ونفيه،
حتى إنك لا تملك الحق في الشعور بالإهانة، كما قال الملحد
ريتشارد ديلن،[1] أو كما أعلنها سام هاريس بكل وقاحة: "بعض
المعتقدات تجعل من الأخلاق أن تقتل صاحبها".[2]
إذاً، فالقتل على الأفكار يمكن أن يكون أخلاقياً لكن عندما يقررون
هم ذلك فقط! وهذا ما أسميه بنشر ثقافة "السايكوباث".
علَّق البروفيسور الأمريكي المسلم رضا أصلان (الباحث في شؤون
الأديان) على هذه الجملة في تغريدة على حسابه في "تويتر" قائلاً:
"هذا ليس كلام مفكر حر، بل فاشٍ مختل عقلياً".

(1) Quote Source: Atheist Republic Newsletter.

(2) The End of Faith.

بلطجي مثقف

يقول البروفيسور تيم وايتمارش: "كلما سمعت عن الإلحاد الجديد شعرتُ بتقلب معوي، رجالٌ من ذوي البشرة البيضاء، متوسطو العمر، يهنئون بعضهم بعضاً على مستواهم الثقافي، ويسخرون من الأغبياء حولهم"(1). هذا الكلام يؤكد أن المصطلح صار مخيفاً بالفعل؛ لأنه يوضح نوعية أتباع الإلحاد الجديد وثقافة العدائية والبلطجة التي زرعوها في أذهان أتباعهم، ولا تكمن خطورة الإرث الذي يحمله الإلحاد الجديد في أنه لا يعترف بالله والدين فقط، بل في أنه يضمر العدائية الشديدة لهما.

"خلال إحدى حفلات العشاء وبعد تناول الطعام سألتُ الحضور: من منكم ملحد؟".. أكمل جاري وولف الكاتب في مجلة "Wired": "ساد الصمت الحضور.. كل شخص يلتفت حوله ليرى من يجيب أولاً.. بعد نحو دقيقة وقف أحدهم - وسيكون غالباً بالتأكيد رجلاً، وسيكون غالباً بالتأكيد تعلو محياه ابتسامة صفراء - قائلاً: أنا.. عندها التفت إليه أحد الحضور قائلاً: أنت ملحد؟ أجاب: نعم، فسأله: لماذا؟ وأكمل: لأنك تشعر بالزهو عندما تهين الآخرين"(2).

---

(1) The "New Atheism" Shtick History news network.

(2) Wolf,Gary(November2006). "Thechurchofthenon-elievers". Wiredmagazine online, v. 14, no. 11. Retrieved on May 19, 2015.

الإلحاد الجديد ليس صورة من عدم الملاءمة مع الآخر فقط؛ بل تهميشه وإهانته. إنه يُعلّم أتباعه الحديث بشكل متعالٍ، ساخر، معيب، لا يحترم مقدسات الآخرين ولا يراعي مشاعرهم، يزرع في أذهانهم أن الدين هو سبب كل المآسي عبر التاريخ.

لا تستهِنْ بهذه الظاهرة التي برزت مع بداية الألفية الثانية؛ فهي تحمل نفس الأيديولوجية الفكرية المشحونة بالعداء ضد الدين، والتي أدت في نهاية الأمر إلى المجازر المليونية والتصفيات العرقية وجرائم الكراهية في العديد من الدول، مثل الاتحاد السوفييتي والصين وألبانيا وكمبوديا والبوسنة، والتي بسببها تحول إلى القرن الأكثر دموية في التاريخ، الفاشية تعود من جديد، لكن هذه المرة برداء العقلانية.

عندما قام كرايغ ستيفن هيكس (46 عاماً) بقتل 3 طلاب مسلمين بينهم زوجان في مدينة تشابل هيل الجامعية في ولاية كارولاينا الشمالية، لم تضج القنوات الغربية الكبرى بالخبر، لم يذكروا أنه ملحد متشدد يفيض بالحقد والكراهية على الأديان.. حتى الجهات الإعلامية القليلة التي تناولت الخبر أشارت إلى أن الحادثة كانت بسبب خلاف على موقف السيارة! لم تتحدث عن أن الأسباب قد تعود إلى ثقافة العدائية والبلطجة التي زرعها الإلحاد الجديد في أذهان أتباعهم من العوام، لم تتحدث عن صفحة القاتل على "الفيسبوك" المملوءة بتعليقات الكراهية والحقد ضد الأديان والمتدينين، لم تتحدث عن كونه أحد المتابعين

المتحمسين لدوكنز، ولم تُشِرْ إلى صورة المسدس في حسابه والتي كتب تحتها: "ليس فقط من حقي، بل من واجبي أن أهينكم".

أكثر من اقترب من الوصف الحقيقي لشخصية القاتل كانت مجلة Salon التي خرجت بعنوان يقول: "غاضب، أبيض ومسلح، لماذا كرايغ ستيفن هيكس هو الوجه الأصولي للإرهاب الأمريكي؟".[1]

وهذا وصف جيد، غير أن السياق يحتاج للتكملة بذكر أسباب تفعيل هذه الأصولية وتحريكها: أبيض، يميني، ليبرالي، وعندما تضيف "ملحد" إلى هذه التركيبة الكيميائية تخرج بمعادلة لتصنيع أخطر قنبلة فكرية. هذا هو الفتى الجديد في الحي الغربي، المُشبع بالإرث الإمبريالي، والمنحدر من الإحساس بالتفوق العرقي

أنا كمسلم أريد التعايش مع الآخر بسلام، أريد تعليم أبنائي الإيثار وأن الحسنة بعشرة أمثالها، أريد تعليمهم أن الإسلام يأمرني بالإحسان حتى مع غير المسلم، وأن الناس سواسية لا فرق بينهم إلا بالتقوى، لكن الملاحدة الجدد يرون أني أسمم كل شيء كما قال كريستوفر هتشنز!

دوكنز وهتشنز وبقية مشاهير الإلحاد يتصورون عالماً افتراضياً لا يوجد إلا في مخيلتهم، عالماً مختلفاً تماماً عن الواقع والحقائق المثبتة بالأدلة والدراسات التي تؤكد أن المتدينين بشكل عام أكثر لطفاً من

---

(1) Salon - SATURDAY, FEB 14, 2015 Angry, armed and white: Why Craig Stephen Hicks is the face of America's violent extremism.

الملحدين[1]. ولكن مثل هذه الدراسات لا تهم، فهؤلاء لا يعترفون إلا بما يوجد في مخيلتهم، حيث لا مكان إلا لسلطتهم الذاتية التي من خلالها فقط يخلعون على أنفسهم الألقاب الرنانة، فهم اللطفاء ونحن الأجلاف، هم المتنورون ونحن من يعيش في الظلام، هم الإنسانيون ونحن الوحوش، هم العلماء ونحن الجهلة، نحن سبب التأخر والتخلف وكل المآسي التي يمكن تصورها عبر التاريخ!

في اعتقادي أن النزعة العدائية الواضحة التي ينتهجها الملاحدة الجدد تظهر الجانب غير الآمن للإلحاد الجديد. قد أتفهَّمُ سبب وجود هذه النزعة ضد الأديان زمن الثورة الفرنسية بسبب ظلم الكنيسة وبطشها، ولكن ما سبب كل هذا الجنون والعدائية الآن؟! أزعُمُ أن السبب الحقيقي يكمن في سقوط الرهان على العلم؛ فقد راهنت المادية الإلحادية منذ قيام الثورة الفرنسية على أن العلم سوف يزيل الإيمان بالتدريج، لكن يبدو أن العلم . وتحديداً بعد منتصف القرن العشرين . بدأ يأخذ منحىً مختلفاً تماماً عما توقعوا له، بل ويعزز الإيمان مع كل اكتشاف علمي جديد، فمثلاً يقول فرانسس كريج مكتشف "الدي أن إيه": "قد يبدو أصل الحياة أقرب للمعجزة". وهذا اعتراف ضمني باستحالة أن يكون أصل الحياة وشريط "الدي أن إيه" والمعلومات الوظيفية نتاج تطور مادي عشوائي، وإلا ما اقترح نظرية أطلق عليها Directed Panspermia، وفيها أن أصل الحياة قد زرعته

---

(1) USA Today - 16 نوفمبر 2010: "دوكنز وهتشنز مخطئان.. المتدين أكثر لطفاً من الملحد".

كائنات فضائية وقامت بتوجيهه بشكل مبرمج[1].
إذاً، مُكتشف "الدي أن إيه" مع التصميم الموجه، لكن بشرط أن يكون المصمم كائنات فضائية! لماذا كائنات فضائية؟ لا توجد سوى إجابة واحدة: لأن هذا ما يناسب إلحاده!
كذلك نظرية الانفجار الكبير وضعت الملحدين في مأزق كبير، حيث أكدت فكرة لطالما دافعت عنها الأديان، والكلام لعرّاب الإلحاد في القرن الـ20 الملحد سابقاً أنتوني فلو؛[2] حيث نسفت الفيزياء الكمومية مبدأ الحتمية، ودفن اكتشاف الضبط الدقيق لقوانين الكون الحوادث العشوائية للأبد.. حتى صار كل من يبحث عن أدلة تدعم إلحاده فإن آخر مكان سيذهب إليه في المكتبة هو قسم الفيزياء، ومن هنا قد يظهر السبب الحقيقي لنبرة البلطجة ومحاولة التغيير السريع حتى ولو بلغة الإهانة والتضليل التي تعتري صوت الإلحاد الجديد.
في شهر نوفمبر من عام 2005 صوّت قراء مجلة Prospect بأن دوكنز واحد من أهم ثلاثة مثقفين في العالم، فما الذي قالته نفس المجلة في مراجعتها لكتاب "وهم الإله"، التي كانت بعنوان "دوكنز الدوغمائي؟"، قالت: "عقائدي، دوغمائي، غير مبالٍ، متناقض.. يبدو الكتاب كأنه تجميع لملاحظات شخصية تمت صياغتها بأسلوب بلطجي! لهذا يصعب الرد على الحجج التي

(1) Life itself.

(2) There is a God.

في الكتاب بشكل أكاديمي رصين. إنه ينتقي أسوأ الأمثلة الدينية المتشددة ثم يصبغ بها الدين كله ليحصل على أكبر قدر من التأثير في العوام، ثم يشرح كيف أن الدين مجرد نتيجة عرضية وغير ضرورية للعمليات البيولوجية والنفسية، مثل هذا الطرح هو في الواقع ضعيف جداً، ويتناقض بشكل كبير مع الدراسات العلمية"[1].

الإلحاد اليوم هو أبعد ما يكون عن الإلحاد الكلاسيكي، حيث لم يكن أحدٌ متحمساً لعدم الوجود الإلهي! ملاحدة كبار أمثال راسل كانوا يرون أن الإلحاد شيء محزن.[2] ومعهم الحق، إذ إنه لأمر محزن ألا يكون هناك شيء بعد الموت وأن الحياة مجرد حادث عبثي! ولكن لسبب ما يبدو أن مشاهير الإلحاد الجديد وأتباعهم سعيدون بذلك! وهذا لا يمكن تفسيره إلا بعقلية الغوغاء التابعين لكل ناعق. هم كمن حمل صليب الإلحاد وطاف به حول العالم في حملة تبشيرية تخبرك بأن الحياة لا معنى لها، يبدو الأمر كأنه لغز! كيف يمكن أن تكون متحمساً لتأليف الكتب وإقامة المحاضرات والبرامج التلفزيونية، وعقد مناظرات لكي تخبر الناس أن هذا الوجود بلا معنى وغاية؟! بل وإذا كانت الحياة بلا غاية، فما الغاية من أن تخبرني بذلك؟ ما الذي يهم؟! ولكن مراجعة صغيرة لشهرتهم وتضخم أرصدتهم البنكية قد تكون فيها الإجابة عن السؤال!

---

(1) Dawkins the dogmatist- October 21, 2006.

(2) Entropy and heat death.

في هذا العصر لا يوجد شيء لافت ومثير للجدل والانتباه أكثر من مهاجمة الله والأديان، وترويج ثقافة العدائية والبلطجة. كراوس، دوكنز، هاريس، هتشنز، دانييت.. عندما أراهم أتذكر شخصية البلطجي الذي يريد تغيير قناعات الآخرين ولو بالقوة.. عندما تفشل في تحقيق الشهرة في مجالك تقمَّصْ شخصية البلطجي المثقف، ثم انطلق لمهاجمة الله والدين.

متحجرة الإلحاد

يقول ستيفن ليدرو عضو جامعة Uppsala في السويد: "الكثير من الشباب الملحدين اكتشفوا أن أيقونات الإلحاد الجديد لا يختلفون في التحجر الفكري عن أولئك الذين جعلوهم يكرهون الدين"[1]. المسلم مثلًا لا يقول إن كل ما في الأديان الأخرى خطأ، بل يقول إن النصرانية واليهودية فيهما بعض الحق، وهذا ليس تنازلاً منه، وإنما هو أمر معلوم بالضرورة يأتي من الإسلام نفسه. قد نجد بعض الحق أيضاً في أديان أخرى؛ لأننا نؤمن بأن كل أمة قد بعث الله إليها رسولاً، قال تعالى: "وإنْ من أمة إلا خلا فيها نذير". (سورة فاطر: 24)، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "الحكمة ضالة المؤمن"، حتى الملحد يمكن أن نجد لديه حكمة نأخذها، وهذا من رقي الإسلام وتشجيعه على أخذ الحق بغض النظر عن مصدره. عندنا يُعرف الرجال بالحق، ولا يُعرف الحق بالرجال، بينما في المقابل فإن الإلحاد يضع الشمع الأحمر على الأديان جميعاً، كلها خطأ، غلطة، خرافة، أساطير.

ضع هذا في الحسبان ثم اسأل نفسك: أيهما يميل للتعصب والتحجر الفكري أكثر: الإسلام أم الإلحاد؟ لنأخذ بعض الأمثلة على التعصب والتحجر الفكري.. نشرت مجلة "ناشيونال بوست" مقالة بعنوان: "ما الذي جرى لتوماس نيجل؟.. قيادي

---

(1) Stephen LeDrew, The Evolution of atheism.

ملحد تم وصفه بالمهرطق لأنه شكك في الداروينية"[1].

استنسخ الملاحدة مصطلح (مهرطق) الذي اشتُهرت به الكنيسة في العصور المظلمة لأوروبا، وكانت تطلقه على كل من يشكك في الكتاب المقدس، فصاروا يستخدمونه ضد كل من يشكك في نظريتهم المقدسة! حتى مصطلح "مطاردة الساحرات" آنذاك. وهو عملية مطاردة واضطهاد كل من يُشتبه بكونه يمارس السحر والشعوذة. ذهب ضحيته الكثير من الأبرياء حرقاً بالنار، إذ أصبحوا يمارسونه بدورهم ضد العلماء ويطاردون قضائياً كل من يشتبه بأنه يخالفهم ويحرقونه أكاديمياً؛ فقد تعرض الفلكي الشهير جيليرمو جونزاليس إلى حملة شعواء قامت بها جامعة "أيوا" ضده؛ لأنه تجرأ في أحد كتبه وقال إن الكون مصمم بشكل ذكي! كذلك قامت جامعة "بايلور" بإغلاق موقع جراح الأعصاب مايكل إجنور وأجبرته على إعادة التمويل الذي حصل عليه من الجامعة؛ لأنه أشار إلى التصميم الذكي في أبحاثه. أما الدكتورة كارولين كروكر (أستاذة علم الخلية الحيوي في جامعة جورج ميسون)، فقد تم فصلها من الوظيفة لمجرد أنها ذكرت التصميم أمام الطلبة في إحدى محاضراتها.. ولو أكملتُ لاحتجتُ لمجلد كامل! هذه الممارسات، التي تحاكي الفاشية لكونها تطبق فرض الرأي

(1) What has gotten into Thomas Nagel?': Leading atheist branded a 'heretic' for daring to question Darwinism Joseph Brean, National Post Staff March 23, 2013.

بالقوة في مجال يُفترض بأنه يشجع الاختلاف، ليست مجرد تصرفات فردية، بل هي النتيجة الطبيعية لمنهجية داروينية إلحادية اشتهرت بالتحجر الفكري ومحاربة الرأي الآخر، باستثناء أن يكون هذا الرأي ضد الله والدين، فهذا ريتشارد دوكنز يقول: "من ينكر التطور هو إما جاهل أو مجنون"[1]. نعم، أنت مفكر حر؛ إلا عندما يتعلق الأمر بالتطور والإلحاد فنحن نفكر عنك، وإن فكرتَ أو كانت لديك بعض الشكوك فأنتَ إما جاهل أو مجنون إن كنت من العوام. أما لو كنت من العلماء والمفكرين، فسوف يتم القضاء على مستقبلك المهني.

لا تنسوا أننا نتحدث عن نظرية علمية وليس عن دين، أو هذا المفروض على الأقل. وبالرغم من أن الصورة قد باتت واضحة الآن، فالتطور قد استحال إلى دوغمائية دينية بالفعل كما اعترف الفيلسوف الملحد مايكل روز[2]!

الشك هو أوكسجين النظريات العلمية، لكن مع التطور غير مسموح به، وإذا حدث فالملصقات جاهزة لوصفك بأشنع الألقاب. يدَّعي مشاهير الإلحاد الجديد أنهم يبحثون عن الحقيقة ويريدون من الناس أن يفكروا بشكل منطقي وبكامل الحرية! مثل هذا الادعاء يسقط مع أول اختبار، فالمنطق عندهم محدد سلفاً بالإلحاد، والحرية تعني أي شيء آخر غير الله والدين.

(1) Dawkins, Richard (August 24, 2009). "Extract from The Greatest Show on Earth.

(2) Ruse, Michael, "Saving Darwinism from the Darwinians," National Post (May 13, 2000), p. B-3.

لقد اشتهر الملاحدة الجدد بأنهم يستخدمون بشكل متكرر مصطلحات دوغمائية مثل: دائماً، أبداً، بالتأكيد، الجميع، لا يمكن إنكاره! ففي بحث أجراه دوغلاس تود ونشره في موقع Vancouversun اتضح أن الملاحدة الجدد يستخدمون مصطلحات دوغمائية أكثر حتى من الكتاب المتشددين ممن ينتسبون للأديان، حيث قال: "غالباً ما يُشار إلى أن المسلمين والمسيحيين متأكدون من أنفسهم إلى درجة الدوغمائية، لكن الحقيقة أن الملاحدة الجدد يستخدمون مصطلحات دوغمائية أكثر منهم؛ فعلى سبيل المثال احتوى كتاب سام هاريس (نهاية الإيمان) على 75 ألف كلمة،2.24 % منها عبارة عن مصطلحات تأكيدية!".[1]

"إذا لم تكن مثلي فهذا ليس لأنك مختلف عني، بل لأنك جاهل وغبي"، هذه هي الرسالة التي يريدون إيصالها باختصار، وهي تُلقي الضوء على إحدى الزوايا المظلمة في الإلحاد الجديد الذي يقود أتباعه إلى رُهاب المختلف "أكزينوفوبيا".

ما سبق ليس مجرد كلام إنشائي، بل حقائق يمكن ملاحظتها بسهولة، وهي أيضاً مثبتة بالدراسات الميدانية، ومنها البحث الذي أجراه Christopher F Silver من جامعة "تينسي"، العضو السابق لجمعية الفكر الحر (تشاتانوقا)، والذي نشره عام 2013 ويشمل 4 أصناف:

---

(1) Famous atheists more 'certain' than religious extremists: Study February 26, 2014

1 - الملحدون واللاأدريون المثقفون.

2 - النشطاء الاجتماعيون.

3 - الباحثون اللاأدريون.

4 - مناهضو الإيمان.

والنوع الرابع هو ما ينطبق تماماً على الملاحدة الجدد، الذين يحاولون الظهور كأبطال العلم والأبحاث والفكر الحر، ولكن دراسات مثل هذه تُثبت انتشار النرجسية، والبلطجة، والتحجر الفكري، بل وحتى العلاقات الاجتماعية المضطربة في أوساط الملاحدة، وعندها يبدأ الصراخ والنحيب!

عندما سأل Larry Taunton دوكنز في اللقاء الذي جمعهما: "ما هدفك من مناهضة الدين؟"، أجاب: "أريد أن أبعد الناس عن الدين باتجاه تفكير منطقي") [1].لاحظ.. لم يقل: "أريدهم أن يبحثوا عن الحقيقة أينما كانت"، بل يريدهم أن يتوجهوا نحو قناعته هو).

يبدو الملاحدة الجدد وكأنهم حريصون جداً على عدم تغيير قناعاتهم، فهم يتعاملون مع هذه القناعات كمتحجرة لا ينبغي أن تختلط بمواد قد تُغير من تركيبها، حتى إنهم صاروا مشهورين بهذه الصفة. وعلى سبيل المثال، يُردد الملاحدة دائماً أن الدين هو مصدر الحروب عبر التاريخ، ويجتهدون في ترسيخ هذه

---

(1) Dawkins, Richard (December 1, 2007). "Richard Dawkins: The atheist evangelist [interview by Larry Taunton].

الصورة النمطية في أذهان العوام، حتى مع ظهور كتاب "موسوعة الحروب"، الذي أثبت بالأدلة والبراهين أنه من بين 1763 حرباً موثقة عبر التاريخ، فإن 93 % منها كانت حروباً علمانية لا دينية، بينما شكلت كل الحروب الدينية نسبة أقل من 7 %، ومع ذلك فهم غير مستعدين لتغيير قناعاتهم، ومستمرون في تغذية هذه الكذبة حتى تضخمت وصارت كبيرة وسمينة[1].

عندما وضع سام هاريس تحدي (المشهد الأخلاقي Moral Landscape Challenge).. كيف يحدد العلم القيم الأخلاقية؟ أعلن في مدونته عن جائزة قيمتها 10 آلاف دولار لمن يتمكن من دحضها. أول من استجاب للتحدي هو أستاذ الفسيولوجيا البروفيسور جونثان هايدت، الذي قام بصياغة رد مُحكم وصفته Commentary magazine بالمذهل تماماً. هذا الرد كان بعنوان لافت يقول: "لماذا سام هاريس لن يغير قناعته؟!".[2] لن نخوض في التحدي كاملًا حتى لا نخرج عن السياق، وسأكتفي بنقل جزء صغير من الرد يمكن القول إنه "قطعة فنية" تصيغ عقلية الملاحدة الجدد في بضع كلمات: "انطلاقاً من تخصصي كباحث في الأحكام الأخلاقية، أستطيع أن أقول إن المحاجّة صادرة من عقلية موغلة في الذاتية، ولديها التزام عميق بوجهة النظر الشخصية التي يستحيل معها أن تُغير

(1) Encyclopedia of Wars - by Charles Phillips & Alan Axelrod.

(2) Why Sam Harris is Unlikely to Change his Mind Evolution-institute.

قناعتها بأي شكل، هذه العقلية تُخضع المنطق لقناعتها، ويمكن بسهولة أن تجد الأسباب التي تدعم هذه القناعة، ومن ثَمّ فأنا بدوري أعلن عن جائزة قدرها 10 آلاف دولار لسام هاريس لو غير قناعته بهذه المحاجة".

وكذلك لورانس كراوس مثلاً.. فالعلم هو ما يناسب إلحاده، فإذا كانت مفردة "لا شيء" تعني "المادة السوداء" فهو معها، وإذا كانت تعني "الفراغ الكمي" فهو معها. وكُنْ على يقين أن كراوس يجري الآن (أثناء قراءتك لهذا الكلام) دراسات يَلوي بها عنق الأدلة لإثبات رؤيته الإلحادية!

لا يوجد لدى كراوس تعريف محدد لأي شيء، بل تعريف مناسب لإلحاده فقط، ولو امتلك الشجاعة الكافية لأعلنها بكل صراحة، وأي تعريف لكلمة "لا شيء" يشير إلى عدم الحاجة لوجود الخالق فهو معه على طول الخط.. هكذا يجب أن يصاغ الأمر بكل صراحة.

ادّعاء أن الجاذبية وميكانيكا الكم يمكن أن تخلقا الكون من لا شيء، هو ادعاء سخيف بكل المقاييس، لأننا سنقول في نهاية الأمر: من أين جاءَتا؟ وهل تُعتبران لا شيء؟ لكن كراوس لا يستخدم المعنى الحقيقي لمصطلح "لا شيء"، إذ "لا شيء" بالنسبة له يعني "شيء"، لماذا؟ لأنه يقول ذلك وعلينا التسليم!

هوكنج يقول أيضاً إن الجاذبية يمكن أن تخلق الكون من "لا شيء" دون الحاجة لخالق، وكأن الجاذبية لا شيء! لذلك بدأ

بعض علماء الفيزياء ممن يمتلكون الشجاعة والأمانة العلمية التصدي لهذا العبث بالعلم والمنطق؛ فهذا البروفيسور ديفيد ألبرت (مدير برنامج فلسفة الفيزياء في جامعة كولومبيا) يقول في مراجعة وُصفت بالسلبية لكتاب كراوس "كون من لا شيء": "إذا كانت قوانين فيزياء الكم قادرة على تفسير كل شيء، فمن أين جاءت هذه القوانين نفسها؟ كراوس وضع نفسه في مقدمة من لا يمتلكون أدنى إجابة عن ذلك"[1].

عندما سألوا الفيزيائي الشهير جورج إيليس: هل صحيح أن كراوس وعلماء الفيزياء اكتشفوا لماذا هناك شيء بدلاً من لا شيء. أجاب: بالطبع لا، ثم أكمل: يجب على هوكنج وكراوس ونيل تايسون التوقف عن استخدام فلسفة هابطة في كتاباتهم[2].

فيما يُعرف عندنا بـ"علم الرجال" أو "الجرح والتعديل"، هناك لدى علماء الحديث قاعدة مهمة جداً، هذه القاعدة تقول إن المحدث إذا كان لديه بدعة أو رؤية يتعصب لها، فإنه لا يؤخذ منه الحديث فيما يؤيد بدعته، ويؤخذ منه فيما عدا ذلك إذا استوفى الشروط.

بعد أن شاهدت مناظرة كراوس ضد ستيفن ماير عام 2016 توصلتُ لقناعة تامة بأنه يجب منع العالم الذي تظهر عليه علاماتُ التشدد والتحجر الفكري من الترويج لرؤيته الشخصية باستخدام العلم، سواء أكان هذا العالم ملحداً أم مسلماً؛ لأن النتائج سوف تكون كارثية.

---

(1) New York Times Book Review, March 25, 2012.

(2) Huffingtonpost Oct 11, 2014.

مطرقة إبليس

ألو..

مرحباً..

السيد قلين كيوبان؟

نعم.

هل أستطيع مكالمتك الآن أم أنني اتصلت في وقت غير مناسب؟

لا بأس، أستطيع مكالمتك.

جيد.

سيدي، سأقدم لك عرضاً مغرياً جداً.

نعم، أنا أسمعك.

سأقدم لك مبلغاً كبيراً جداً في مقابل شيء بسيط، أريدك أن ترسم نفسك في لوحة وفي الخلفية يقف شيطان كبير.

عفواً، هل قلت "شيطان"؟!

نعم سيدي، ولكن رجاءً، دعني أكمل وسوف تجد الأمر ممتعاً.

حسناً.. أكمل.

سوف تقف في اللوحة ممسكاً بمطرقة ضخمة وأنت تهشم آثار قدم إنسان، وخلفك شيطان كبير، وأقترح أن يظهر معك ريتشارد دوكنز في جانب الصورة. ما رأيك؟

لم أفهم ما ترمي إليه..!

سيدي، لقد قمت قبل سنوات طويلة بتحطيم آثار أقدام بشرية في نفس طبقة آثار الديناصور. لقد رأيتُ الصور قبل ذهابك، ثم بعد زيارتك للمكان.. لقد تهشم الأثر تماماً، وبما أنك رسام جيد، فلن أجد من هو أفضل منك للقيام برسم اللوحة، ما رأيك؟ سأدفع مبلغاً كبيراً.

آها.. حسناً.. فهمت الأمر. الأثر الذي تتحدث عنه لا يزال موجوداً في الموقع، ومتغير.

سيدي هذه زلة كبيرة..

نعم الأثر متغير..

سيدي.. هذا الأثر الذي يُظهر قدماً بشرية مع قدم ديناصور هو واحد من ثلاثة آثار استمرت كما هي لسنوات، واجتازت العديد من الفحوصات، ولكن.. خلال يوم واحد ومع بزوغ الفجر.. اتضح أنه مهشم تماماً، وصادف أن هذا اليوم هو الذي قمتَ أنت فيه بزيارة الموقع! سيدي.. ماذا تتوقع منا أن نعتقد؟

لماذا تفعلون ذلك؟ هل يستحق الأمر كل هذا التضليل؟

عفواً.. من أنت؟

لا تقلق سوف تعلم من أكون قريباً.. سيد كيوبان ماذا قلت بشأن الرسمة؟

ما هذا السخف؟

سيدي أنت تملك رقمي الآن، وإذا غيرت رأيك بشأن الرسمة، فيمكنك أن تتصل بي.. إلى اللقاء[1].

كان هذا جزءاً من مكالمة تلفونية حقيقية جرت بين باحث أمريكي هاوٍ يُدعى تراي سميث، وهو شخص يملك قناة "يوتيوب" علمية شهيرة مثيرة للجدل، وبين الداروريني قلين كيوبان، ولكن ما القصة خلف هذه المكالمة؟ القصة تعود ليوم 12 أغسطس عام 1989 حين قام الدكتور دون باتون بعقد مؤتمر صحافي للخلقيين في دايتون بولاية تينسي، أعلن فيه عن اكتشاف آثار أقدام بشرية مع آثار أقدام ديناصور في تايلور ترايل، حيث وجد العديد من آثار الديناصورات هناك، مما يثبت أن الإنسان قد عاصر الديناصورات، كان (الأثر 3ب) الذي اجتاز الاختبارات الأولية بنجاح واضحاً جداً لدرجة أن الدكتور باتون تمكن بسهولة من إقناع الحضور بقوة حجته، غير أن أحدهم وهو قلين كيوبان الذي كان حاضراً المؤتمر برفقة ريتشارد دوكنز، قد بدت عليه علامات الاستياء واضحة، وهو يعترف بذلك في موقعه، غير أنه يبرر هذا الاستياء بأنه كان بسبب خدعة الدكتور باتون.

وقد ذكرت شاهدة عيان تُدعى دورثي ماكفال أنها رأت في اليوم التالي للمؤتمر قلين كيوبان وسكوت فاوس يتجولان في موقع

(1) Farlow, J. O., et al (2010). Dinosaur tracksites of the Paluxy River (Glen Rose Formation, Lower Cretaceous), Dinosaur Valley State Park, Somervell County, Texas, USA. Fifth Jornadas Internacionales sobre Paleontología de Dinosaurios y su Entorno, Salas de los Infantes, Burgos, Spain, pp. 15-16.

الآثار في تايلور ترايل بولاية تكساس، وأكدت أنهما كانا يحملان مطرقة حديدية، ثم بعدها اكتشف القائمون على الموقع المقام عليه حديقة وادي الديناصورات الترفيهية أن شكل (الأثر 3ب) قد تهشم وتغيرت ملامحه. ولكي يثبت صحة كلامه وأن الموقع قد تعرض للتخريب المتعمد، قام باتون باختبار لكشف الكذب واجتازه بنجاح، وكان مما يثبت وجود هذا الأثر أيضاً التعريف الخاص به من ضمن برامج حديقة وادي الديناصورات المقامة للزوار في الموقع آنذاك.

بعد ذلك بعدة أيام قام دوكنز بزيارة الموقع لتصوير برنامج لمصلحة قناة "نوفا" خصيصاً لدحض وجود هذا الأثر، وبيان أنه مهشم ولا يثبت أي شيء، وكان من ضمن ضيوف البرنامج قلين كيوبان نفسه[1].

لا أريد وضع صورة معينة في رأسك، لكَ حق البحث والخروج بقناعتك الخاصة، ولكن عن نفسي لا أستبعد حدوث هذه الجريمة، وأنا لا أقول ذلك من باب الهجوم غير المبرر، بل لأن الداروينية تملك بالفعل سجلاً حافلاً بالتزوير والغش والخداع.

لقد أصبح موضوع "متى عاشت الديناصورات" موضوعاً شائكاً جداً، خصوصاً بعد اكتشاف الدكتورة ماري شفايتزر عام 1990

(1) Godfrey, L. R. (1985). "Foot Notes of an Anatomist". Creation/Evolution. 1. 5 (15): 16-36.Kuban, G (1986). "A Summary of the Taylor Site Evidence". Creation/Evolution. 6 (1): 10-18

بقايا أنسجة ناعمة تحتفظ بعينات بروتين "مثل الهيموجلوبين" في أحفورة ديناصور تي ريكس.

تقول شفايتزر إنها لم تصدق عينيها في البداية، وإنها ترددت كثيراً قبل إعلان هذا الاكتشاف الصادم، ولذلك فقد تم تأجيل الاكتشاف ولم يُعلن عنه بشكل رسمي إلا في بداية الألفية، أي بعد مرور أكثر من عقد كامل على الاكتشاف[1]!

وفي اللقاء الذي أجرته مع قناة "سي بي أس" عام 2005 ذكرت شفايتزر أن الاكتشاف تم بالصدفة عن طريق الخطأ عندما اضطرت هي والفريق المرافق لها إلى كسر عظام الديناصور لكي يتم نقلها في الطائرة، فكانت الصدمة حينما وجدوا الأوعية الدموية لا تزال لينة وشفافة ومرنة، ونفس الأمر بالنسبة لفحص أجزاء أخرى من العظام. وتكمل الدكتورة: "العلماء عادة لا يبحثون عن بقايا أنسجة في أحافير الديناصورات لأنه أمر مستبعد تماماً[2]"!

السؤال هنا: لماذا ترددت قبل الإعلان؟ هذا اكتشاف هائل ويفترض أنه بمثابة الفتح العلمي، أليس كذلك؟! الإجابة بكل بساطة هي: لأنه يخالف التوجه السائد، أو بمعنى أدق يخالف نظرية التطور التي تؤكد أن الديناصورات انقرضت قبل 60 مليون سنة، مما يجعل وجود أنسجة ناعمة تحتفظ بـ"الدي أن إيه" طوال

---

(1) M. Schweitzer and T. Staedter, 'The Real Jurassic Park', Earth, June 1997 pp. 55-57.

(2) CBS - 60 minutes - 2005.

هذه المدة أمراً مستحيلاً علمياً لأنها لا تُحفظ أكثر من بضعة آلاف سنة!

الاكتشاف ذكرته مجلة "ديسكفر" تحت عنوان غريب جداً، "اكتشاف ماري شفايتزر الخطير"، خطير على مَنْ؟! أكملت المجلة: "اكتشاف العالمة الخجولة أزال خطأً بين الماضي والحاضر وفتح أبواب الجحيم"[1]. هل تريد أن تفهم المقصود من: "فتح أبواب الجحيم"؟ حسناً، من حينها حتى يومنا هذا تتوالى الاكتشافات المشابهة، والتفسير المنطقي الوحيد لتوالي مثل هذه الاكتشافات بعد عام 2005 هو أن العلماء صاروا يبحثون عن أنسجة ناعمة في أحافير الديناصورات، فيجدونها بعكس المعمول به سابقاً. ومع كل اكتشاف تضطر المجلات الداروينية إلى البحث عن تفسير موافق للتطور للخروج من هذه الورطة أو الجحيم الذي تسبب فيه اكتشاف شفايتزر المثير للجدل، بل واستبعاد الأوراق العلمية إذا لم تكن موافقة للتطور حتى وإن كانت سليمة منهجياً. وعلى سبيل المثال، وفي اجتماع غرب المحيط الهادئ عام 2012 بسنغافورة، قام كل من الدكتور جين دي بونتشارا والدكتور ماري كلير (فيزياء وكيمياء فيزيائية) بتقديم 20 عينة من حفريات الديناصورات تم فحصها بالكربون 14 المشع في جامعة أريزونا، فأعطت أعماراً تتراوح بين 22 إلى 40 ألف سنة فقط. وعلى

(1) Discove rmagazine - 4-2006.

منطق أخضع للقرد، تم استبعاد الدراسة مباشرة[1]! وهكذا فإن نظرية التطور هي النظرية الوحيدة التي تفسر الأدلة وفق النظرية ولا تصيغ النظرية وفق الأدلة!

آخر هذه الاكتشافات كان البحث الذي نشرته مجلة "الطبيعة" في شهر 6 عام 2015 في لندن، وكان عن اكتشاف أنسجة ناعمة في أحفورة ديناصور، ومعه ظهر آخر تفسير توصلت إليه المجلات الداروينية وهو: "يبدو أننا كنا مخطئين..". ماذا؟ هل يعقل ذلك؟ وأخيراً اعترفوا بالحق! لكن لحظة.. دعونا نكمل ولا نستعجل الحكم.. تُكمل المجلة: "كنا مخطئين في مدى استمرارية هذه الأنسجة، وأنها بالفعل يمكن أن تبقى لملايين السنين!".

شيء عجيب! لأن نظرية التطور صحيحة، إذاً لابد أن الأنسجة تبقى عشرات الملايين من السنين! لم يخطر في بالهم ولو للحظة واحدة التشكيك في الآليات الرئيسية للنظرية. هم كالعادة يمارسون مغالطة منطقية بوضع التطور كحقيقة مقدماً، ومن ثَمَ فمن الطبيعي أن تأتي النتيجة موافقة له!

مثال آخر.. اكتشاف بقايا أنسجة ناعمة تحوي دماء في أحفورة ديناصور يُفترض أن عمرها 75 مليون سنة في كندا[2]. ولا ننسَ الحادثة الشهيرة عندما قامت جامعة "نورثردج كاليفورنيا" بطرد الباحث مارك أرمتاج من عمله نتيجة اكتشافه أنسجة ناعمة

---

(1) Uncommondescent news – July 6 - 2013.

(2) Theguardian-9-6-2015.

في بقايا ديناصور، مما دفعه إلى رفع قضية على الجامعة[1]. أما فيما يخص وجود أدلة مادية فيزيائية في الحضارات القديمة يمكن أن تكون مؤشراً على أن الإنسان قد عاصر الديناصورات، فهي كثيرة جداً، فمثلاً، ذكرت الملحمة الشعرية الأنجلوساكسونية "بايوولف" (700-1000م)، المدونة في مخطوطة "نويل" وصفاً لثلاث معارك خاضها الملك بايوولف ضد وحوش تشبه في صفتها الديناصورات، كانت الأولى ضد وحش هائل اسمه "جريندل"، والثانية ضد أم الوحش، والثالثة مع تنين هائل، وهذا جزء من القصيدة الشعرية:

"مخالب الوحش الصلبة.. انتزعته ومزقته إلى أشلاء..
وفكه القوي حول الجسد لأجزاء.. شرب دمه وامتصه من عروقه..
أسنانه الهائلة خطفت منه الحياة.. جريندل.. لو رأيته لهالك الموقف"[2].

كلنا نعلم أن مصطلح ديناصور حديث نسبياً، فهل سبق وتساءلت: ما هو التنين المذكور في المخطوطات الصينية القديمة؟ أو حتى في الإنجيل؟ هل هو الديناصور لكن باسم آخر؟ جاء في الإنجيل (الإصحاح الرابع عشر) . العهد القديم: "وكان في بابل تنين عظيم وكان أهلها يعبدونه، فقال الملك لدانيال: أتقول عن هذا أيضاً إنه نحاس! ها، إنه حي يأكل ويشرب، ولا تستطيع أن

---

(1) Thecollegefix - JULY 25, 2014.

(2) Newton,Sam (1993). TheOriginsofBeowulfandthePre-VikingKingdomofEast Anglia. Woodbridge, Suffolk, ENG: Boydell & Brewer. ISBN 0-85991-361-9.

تقول إنه ليس إلهاً حياً، فاسجد له، فقال دانيال: إني إنما أسجد للرب، إلهي لأنه هو الإله الحي".

وهذه أيضاً بعض الأدلة على سبيل المثال لا الحصر:

* خوذة الجنود التراقيين الذين عاشوا في أوروبا الشرقية خلال الفترة الممتدة ما بين 3000 - 500 ق.م والذين كانوا يضعون عليها مجسم رأس كائن يشبه ديناصور تسيتاسور.

* ختم أورك الأسطواني في بلاد ما بين النهرين، والذي يصور كائناً مطابقاً لديناصور اباتوصور بشكل مذهل تماماً.

* الرسومات التي وُجدت في كهف بيرنيفال – فرنسا، الشهير بآثار إنسان نايندرتال، والتي تصور ديناصوراً يقاتل فيل الماموث، وهو الأثر الذي أشارت إليه مجلة "أخبار العلم"، لكنها رفضت الاعتراف بصلاحيته لمجرد أنه يعارض نظرية التطور وقصة الديناصورات التي يُفترض أنها انقرضت قبل 65 مليون سنة[1].

* صورة التنين البابلي على بوابة عشتار الزرقاء (600 ق.م)، والتي تم اكتشافها عام 1899م.

* النقوشات التي تصور كائنات تطابق الديناصورات، والتي وُجدت في حضارة الخمير في الهند الصينية، ويعود تاريخها إلى ما بين القرنين التاسع والخامس عشر للميلاد[2].

---

(1) Buried Alive by Dr. Jack Cuozzo.

(2) Freeman, Michael and Claude Jacques (1999),(Ancient Angkor (Trumbull, CT: Weatherhill.

* وجود أكثر من 15 ألف قطعة من الآثار والمنقوشات الحجرية التي تصور الديناصورات بشكل واضح تماماً في حضارات الهنود بأمريكا الشمالية والجنوبية، مثل حضارات إنكا والموسيكا وتيواناكو (110 قبل الميلاد حتى الغزو الإسباني 1532م)[1].

لا شك في أن المشكلة التي سيقع فيها الداروويني عند تفسير مثل هذه الأدلة هي أن أول إعادة بناء لأحفورة ديناصور لم تكتمل إلا في بدايات القرن التاسع عشر للميلاد، ومن ثَمّ فإن هذه الحضارات يُفترض أنها لا تعرف أشكال الديناصورات، فكيف وصفته بهذه الدقة المتناهية؟! بل كيف تنوّع هذا الوصف ليطابق أنواع الديناصورات التي نعرفها الآن؟! كل هذه الأدلة وأكثر بكثير تم دفنها من المجتمع العلمي لأنها لا توافق "البردايم" أو الإطار الفكري السائد في هذا المجتمع! أنا لا أقول إن الإنسان عاصر الديناصورات بشكل مؤكد، ولكن.. لماذا لا يتم تناول الأمر بكل شفافية، وتُقدَّم أدلة الإثبات والنفي على حد سواء وبشكل مُنصف بلا تحيز؟! مثل هذه الأدلة الصلبة المتمثلة في المخطوطات والنقوشات يجب أن تكون مقدمة على أي آليات مُفترضة، فهي تضع علامة استفهام حول مدى صلاحية القياس بالعناصر المُشعة (خصوصاً بعد ظهور القنابل والمفاعلات النووية)، وتقود إلى التشكيك في مليارات وملايين السنين

---

(1) Ancient-origins - 10 MARCH, 2014 - Do the Ica Stones prove that mankind coexisted with dinosaurs and had advanced technology?

الداروينية التي من دونها سيتم وضع النظرية في أرشيف أعظم الخدع العلمية في التاريخ. وأجزم بأن هذا هو سبب استبعادها ومن ثم تناول الأمر بشكل ساخر حتى لا يتجرأ أي شخص على الإشارة لهذه الأدلة فيصبح عرضة للاستهزاء.

الكثير من الناس لا تعلم أن ملابسات قياس الكربون المشع وغيره من المواد المشعة واختلاطها بقياس الصخور التي تحوي العظام أمر شائع جداً، ويتم التكتم عليه بشكل مستمر. لكن لأن التطور حقيقة، إذاً لابد أن الدليل ليس كما يبدو، بل كما يتناسب مع التطور! وهذه طامة حلَّت بالمجتمع العلمي بسبب التعصب المقيت للنظرية، وكارثة بكل المقاييس!

طلاسم نجسة

الجنس في صوره الشاذة هو أحد أكبر الطقوس الشيطانية، نكاح الحيوانات والجثث، زنا المحارم، الشذوذ، الغلمانية، كلها تندرج تحت نفس القائمة[1]. في عام 1989، وتحديداً في الأول من شهر مايو، ظهرت الفتاة الأمريكية فيكي بولن في برنامج أوبرا وينفري الشهير، لتكشف عن تجربتها الصادمة مع عائلتها التي كانت تعبد إبليس الرجيم. ما يهمني من هذا اللقاء هو تأكيد فيكي بولن أن الطقوس الشيطانية التي كانت تمارسها عائلتها مع بعض الأصدقاء المقربين كانت تتضمن ممارسة الجنس مع الحيوانات (البهيمية)، زنا المحارم، تبادل الزوجات، الشذوذ، الغلمانية (الاعتداء الجنسي على الأطفال). تذكر هذه المقدمة وأكمل القراءة.. في عام 2009، في المناظرة الوحيدة التي جمعت كريستوفر هتشنز (إحدى أيقونات الإلحاد الجديد(مع فيلسوف العلوم وليام لانق كريق، تقدم أحد الحضور ليوجه سؤالاً لهتشنز قائلاً: "هل يستطيع هتشنز أن يصف البهيمية بأنها فعل غير أخلاقي؟"، لم يتردد هتشنز في الإجابة بقوله: "لا أستطيع ذلك"!، وهو على صواب في الإجابة، فعندما ترى من خلال عين الإلحاد يستحيل أن ترى معنى موضوعياً للخطأ أو الصواب.

---

(1) THE KINGDOM OF DARKNESS AND OF SATAN by Joseph Brennan.

لكن.. قبل أن نبدأ يجب أن نفهم، ما البهيمية؟ ضع كمامة طبية وأكمل القراءة: هي الانخراط في علاقة جنسية مع الحيوانات! وهل وصل الانحطاط الأخلاقي إلى هذه الدرجة؟ مع تصاعد الإلحاد الجديد أستطيع أن أقولها بكل ثقة.. نعم.

ذكرت محطة "غلوبل نيوز" في وثائقي أن البهيمية تتصاعد في أوروبا العلمانية[1]. صدق أو لا تصدق، أحد عوامل الجذب السياحية في الدنمارك (ثالث أكبر نسبة سكان ملحدين في العالم) يكمن في البهيمية، التي لم تُرفع مذكرة لمنعها سوى في عام 2015[2]. ليس لسبب أخلاقي، بل لأنها تشوه سمعة الدنمارك كما أشارت المذكرة!

عندما تقول البهيمية، يقفز إلى الصورة مباشرة الفيلسوف الملحد بيتر سنجر بصفته أحد أبرز المروجين لهذه السقطة الأخلاقية.. الملحد الذي قضى عمره بالكامل في محاولات متكررة لتبرير ما لا يمكن تبريره، فهو المؤسس لحركة التخلص من كبار السن المصابين بالخرف، وكذلك ذوي الاحتياجات الخاصة، مما جعل منظمة "لم نمت بعد" تقوم بعدة مظاهرات أثناء المحاضرات التي يلقيها، وكذلك التخلص من الأطفال الرضع دون العامين (لأي سبب إذا كانت هذه رغبة الأبوين)، وأيضاً ممارسة الجنس مع الجثث

---

(1) Secular Europe's weird bestiality renaissance.

(2) Denmark outlaws bestiality in narrow vote, CBS News ι by MANFRED GERSTENFELD, Jerusalem Post, 2015.

(نيكروفيليا)[1]. ولأننا في عالم يحتفي بإهانة الكرامة وقتل العفة وتسميم الفطرة، فقد منحته جامعة "برنستون" كرسي أخلاقيات علم الأحياء. ولكن.. مع أن الرجل فيلسوف.. فلماذا علم الأحياء؟ الإجابة سهلة جداً: نظرية التطور، هذه الأيديولوجية المتنكرة بلباس العلم، والتي كانت ولا تزال بمثابة الذراع العلمية لقتل العفة وإهانة الكرامة.

وإمعاناً في إثارة الحنق، يحمل سنجر أيضاً منصب "أستاذ أخلاق الطب الحيوي" في مركز الجامعة للقيم الإنسانية! كما أنه يعمل بدوام جزئي في جامعة "ملبورن" - مركز الفلسفة التطبيقية والأخلاق العامة! وهل يليق بهذه المناصب المشرفة غير الداعية الأول للبهيمية؟! بل هل يليق بالداعية الأول للبهيمية إلا أن يكون ملحداً؟! هذه صورة مُصغرة تبين في أي عالم صرنا نعيش اليوم! سنجر ليس الوحيد الذي لا يرى بأساً في ممارسة البهيمية، إذ يظهر في هذه الصورة المقززة أيضاً أستاذ الأحياء الملحد بز ماير، الذي يقول: "نعم، لا يوجد عندي مانع في ممارسة الجنس مع الحيوانات، لكن بحدود معينة، هذا لا يعني أني داعٍ له"[2].

ولتأكيد الأثر الأخلاقي على أبناء الملاحدة، تقول سكاتجي ماير ابنة الملحد بز ماير: "العلاقة الجنسية بين البشر والحيوانات تأتي بمثابة الصدمة عند البعض، لكن بالنسبة لي أرى أنها علاقة جميلة

---

(1) The Dangerous Mind by Joe Carter, First Things.

(2) The "objective morality" gotcha.

وحميمة بين الشخص وبين حيوانه الأليف!".[1] إذا كانت لديك الرغبة في ممارسة الجنس مع حيوان، وهذا الحيوان لم يصبه أذى من هذه الممارسة، إذاً، فالبهيمية مبررة أخلاقياً.

قد يعتقد البعض أن الإلحاد ليس له علاقة بالموضوع فهو لا يأمرك بأي شيء، وأنها مجرد تصرفات فردية، عندها سوف نسأل: ما المبرر الذي يستند إليه هؤلاء في الدعوة لهذه الممارسات المقززة؟ الإجابة لا تخرج عن نسبية الأخلاق والأصل الحيواني للإنسان! وهما يتحدان لتشكيل العمود الفقري للإلحاد. وصحيح أن الإلحاد لا يأمرك بشيء ولكنه يفتح صندوق بان-دورا، فتصبح مثل هذه الممارسات مقبولة ومبررة في ظل نسبية الأخلاق. الأمر لا يقف هنا، بل يبدو كأنه إصرار على قتل القيم الأخلاقية المتعارف عليها.

في أوروبا العلمانية لاحظت أن هناك تناسباً عكسياً بين عدد السكان الملحدين والمدافعين عن التطور من جهة، وبين القيم والأخلاق المتعارف عليها من جهة ثانية، فكلما زاد عدد السكان الملحدين تضاءلت العفة والكرامة. الدنمارك على سبيل المثال هي أكبر مصدر في العالم للمواد الإباحية التي يظهر فيها أطفال[2]. وكذلك التشيك، التي تكاد تخلو من السكان أهل الأديان، تعتبر من أكبر الدول المصدرة للجنس الطفولي، وهذا رفع نسبة الإناث

---

(1) Just when you think Slimy Sal couldn't sink any lower - Skatje Myers, Daughter of atheist PZ Myers - in blog comments section of PZ Myers' blog post.

(2) Ost, Suzanne (2009). Child Pornography and Sexual Grooming: Legal and Societal Responses (Cambridge, U.K.: Cambridge University Press.

اللاتي تعرضن للاغتصاب في صغرهن إلى7 % بمقابل 3 % للذكور[1]. أما السويد (قبلة الملاحدة) أو كما أسميها (قبلة الانتحار)، بوصفها الأولى على قائمة حوادث الانتحار عالمياً وبفارق كبير جداً عن أقرب المنافسين لها)دراسة بحثية تابعة للأمم المتحدة عام 2002)، والفائزة بلقب دولة الاغتصاب الرسمية في أوروبا عام 2009، فلن تقبل إلا بأن تسجل اسمها في قائمة الخزي ضمن الدول التي تسمح بمشاهدة المواد الإباحية التي يظهر فيها أطفال[2].

واليابان أيضاً واحدة من أكبر مراكز تهريب وتداول المواد الإباحية التي يظهر فيها الأطفال، وذلك وفقاً لتقرير بثته قناة "سي إن إن" نقلاً عن منظمة حقوق الإنسان الأمريكية[3]. كما أن تايلند البوذية الملحدة هي إحدى أقذر البقاع على وجه الأرض إذا لم تكن أقذرها على الإطلاق، حيث يتوجه إليها كل من يريد ممارسة الجنس مع الأطفال القُصر، حتى إنها صارت تُعرف بـ "جنة الـمُعتدين على الأطفال"[4].

الكثير من الناس لا يعلمون أن هناك منظمة في الولايات المتحدة تُدعى منظمة حب الرجل – الولد NAMBLA، وتأسست

---

(1) The Czech Republic as a Paedophile Paradise.

(2) 02 November 2009 / The Swedish Wire Looking at child porn soon illegal in Sweden.

(3) Japan passes law banning possession of child pornography, By Jethro Mullen and Yoko Wakatsuki, CNN, Updated 10: 36 AM ET, Wed June 18, 2014.

(4) Thailand fights to stem tide of child sex tourists By Dan Rivers.

على يد الملحد ديفيد ثروست عام 1978، وهي منظمة تدافع قضائياً عن مرتكبي جريمة ممارسة الجنس مع الأطفال وتهدف إلى تشريعها لكن بشرط.. ألا تحدث ضرراً بالطفل! يا لَلإنسانية!

نشرت Greeleygazette مقالة بعنوان: "الغلمانيون يطالبون بحقوق مساوية للمثليين"، جاء فيها أن مجموعة من علماء النفس الملحدين يستخدمون نفس الاستراتيجية التي استخدمها المثليون (الشواذ)، وهي أن ما يشعرون به مجرد "رغبة" لا تختلف عن رغبة الشاذ[1]! عندما قرأت هذا "العفن" الذي أصاب فطرتهم تذكرت دفاع دوكنز عن المتحرش اللطيف، الذي يشير فيه إلى أنه تعرض للتحرش اللطيف في طفولته، حيث قال: "كان المعلم يمد يده إلى داخل ملابسي، لكن من غير العدل أن نحكم على هذا التصرف وفق معاييرنا الآن". مؤكد أن هذا الأمر لم يصبه بالضرر[2]! الجملة الأخيرة "لم يصبه بالضرر" هذه لستُ متأكداً منها!

وكذلك الملحد المختل لورانس كراوس لم يتردد في الدفاع عن جيفري إبشتاين الذي اعتدى على قاصر وحوكم بالسجن لمدة 13 شهراً، وهو الأمر الذي استهجنه الكثير من العلماء مصرحين بأن هذا الدفاع المشين أحرج العلماء في كل مكان[3]. هل شعرت

---

(1) Greeleygazette - July 3, 2011 by Jack Minor.

(2) Salon-SEP 10, 2013 Richard Dawkins defends "mild pedophilia," says it does not cause "lasting harm".

(3) Skepchick - April 6, 2011 Lawrence Krauss Defends a Sex Offender, Embarrasses Scientists Everywhere.

بالذعر؟ حسناً، هنا سيضطرون لاستخدام الذراع العلمية لتبرير هذا السفه. يقول الملحد الداروييني الشهير بز ماير: "لا أدري لماذا يصاب الناس بالذعر أو الاعتراض على كشف جسد حيوان من الثدييات؟".)يقصد المرأة[1]!(وتؤكد ذلك مجلة "ساينتفيك أمريكا" الداروينية بقولها: "في النهاية.. نحن حيوانات"[2].

هي أشبه بالسلسلة، إذا بدأت بإحدى حلقاتها فلا بد أن تصل للبقية: الداروينية = نحن حيوانات؛ ومن ثَمَّ فالجنين لا يملك من الإنسانية أكثر مما يملكه خنزير بالغ كما قال دوكنز في تغريدة أثارت ضجة كبيرة[3].

إذاً، فقد صار التخلص من الأجنة مبرراً علمياً لأنهم ليسوا بشراً بعد، وهنا يجب أن نتوقف قليلاً: في لقاء مع العضو السابق لكنيسة إبليس زاكري كينق، الذي قضى 26 سنة في عبادة إبليس، ذكر أن أحد الطقوس المهمة في الكنيسة كان عمليات الإجهاض، حيث كان يُطلب من بعض الفتيات أن يمارسن

---

(1) "Do your belly dance." "Get off my stage. I've got work to do." What if PZ Myers judged others' sexism as he judges himself?by Michael Nugent on November 17, 2014.

(2) Animal Lovers: Zoophiles Make Scientists Rethink Human Sexuality By Jesse Bering, March 24, 2010.

(3) written by Colin Dye March 18, 2013.Colindye.com Richard Dawkins Claims Unborn Children Are 'Less Human' Than Pigs on his Twitter account

البغاء بغرض الحمل، ومن ثم يُضحى بالجنين[1]. يقول زاكري: "كان يقال لنا: (هناك جنين في رحم هذه الفتاة وسوف نقتله)، عندها كنت أسأل: (لكن أليست هذه جريمة؟)، فيردون: (لا طالما أن القتل تم قبل خروج الجنين من الرحم)".

حلقة أخرى.

الإلحاد = نسبية الأخلاق "لا يوجد خطأ أو صواب ثابت".

إذاً؛ فالبهيمية، زنا المحارم، النيكروفيليا إلخ... صارت مبررة أخلاقياً، ولم تسلم مؤسسة الزواج أيضاً من هذه الطلاسم القذرة.. ففي مقال كتبه ريتشارد دوكنز بعنوان: "طرد الوحش أخضر العينين"، قال "إن الغيرة صفة أنانية وغير أخلاقية"، وأكمل: "لماذا يتكلم الناس دائماً عن الخيانة الزوجية؟! لماذا ترفض أن يتمتع الشخص الذي تحبه متعة جنسية مع شخص آخر؟"، ثم دافع عن حق الزوج بأنه "يجب عليه أن يحتفظ بعشيقات وينغمس في اللذة الجنسية".. وهذه دعوة غير مباشرة لتبادل الزوجات بقصد اللذة الجنسية!

وكأن كل هذا لا يكفي! فقد صوّت حزب الشباب الليبرالي في السويد خلال شهر فبراير من عام 2016 للسماح بزنا المحارم وجماع الجثث "النيكروفيليا"[2]، وسبقه في ذلك أستاذ القانون الدنماركي البروفيسور الملحد فاجن جريف، الذي طالب بعدم

---

(1) Lepanto institute- 2015-08-18 BY MICHAEL HICHBORN - Former Satanist: "I Performed Satanic Rituals Inside Abortion Clinics".

(2) 22 February 2016-Dailymail.

تجريم زنا المحارم[1]. وكان ذلك بعد النجاح في السماح بممارسة العادة السرية في الأماكن العامة في السويد، بشرط ألا تكون موجهةً لشخص بذاته[2]! لا تتعجب، لأنه في النهاية وعندما تكون الطبيعة هي كل ما هنالك، فلن تجد بدأً من الدخول لمعبدها والخضوع لها، حيث لا وجود لصفات سامية مثل الكرم والشهامة والسمو والعفة! هذه مجرد خزعبلات يروج لها الدين، ولا وجودَ مادياً لها! وهي نفس حجتهم ضد الله سبحانه.

مصطلحات مُقززة ومثيرة للغثيان يروجون لها كالبهيمية، النيكروفيليا، زنا المحارم، الخيانة الزوجية، الغلمانية، قد تبدو كأنها طلاسم غير مفهومة! طلاسم نجسة! إذ أتعجب! لماذا يجند هؤلاء جهدهم وشهرتهم في الترويج لمثل هذه الممارسات الساقطة؟ لماذا يدافعون عنها في المحافل السياسية والعلمية والاجتماعية؟! لكن عندما تنقض هذه الطلاسم، ترى الهدف منها واضحاً كالشمس: هم يحفرون لآخر نقطة مظلمة، ليس بهدف الوصول إليها، بل حتى يهون ما قبلها ويصبح مقبولاً.

لا يوجد من يمتلك ذرة من عقل أو كرامة يرغب في انتشار نكاح الحيوانات والجثث، ويجعل منها قضية يكافح من أجلها حتى الملاحدة أنفسهم، لكنهم يصوبون نحوها ليسهل ما قبلها، وقد نجحت هذه الاستراتيجية الخبيثة بالفعل، فها هي أمريكا تشرع

---

(1) Universitypost /Professor, left wing party: Incest is no crime.

(2) Newsfeed.time - Sweden Allows Public Masturbation - Sept. 19, 2013.

زواج الشواذ والبقية في الطريق. إنها "تعمد" الحرب على الأخلاق وقتل العفة من خلال تهميش القيمة الموضوعية للبشر وإهانة كرامتهم وتميزهم عن بقية المخلوقات، هذا هو هدفهم المنشود، وعلى طريقة مؤسس كنيسة الشيطان الملحد أنطوان لافي، عندما قال: "إذا كنت ستقترف الذنوب، فاحرص على أن تكون أفضل من يفعل ذلك"[1].

ليست صدفة أن يكون هيو هفنر (مالك أكبر مجلة خلاعية في العالم) ملحداً، وليست صدفة أن يكون لاري فلنت (مالك أكبر شركة للمواد الإباحية في العالم) ملحداً، وليست صدفة أن هاري هاي (الأب الروحي لحركة الشواذ بأمريكا) ملحداً، وليست صدفة أن ديفيد ثروستد (مؤسس منظمة حب الرجل- الولد) ملحداً. ولولا كم الغثيان الذي لا يُطاق لفصلت من أعمالهم ما يشيب له الرأس.

سيأتي من يقول: لكن الأخلاق لا تنحصر في الجنس والعفة فقط! وأنا معه، لا شك في أن هذا صحيح، ولكن هذه الملاحظة يجب أن توجه للملاحدة وليس لنا نحن، الأخلاق لا تعني السماح للبهيمية، فهناك الكرامة والسمو، الأخلاق لا تعني المطالبة بحقوق الشواذ أو السماح بقتل الأجنة، فهناك المطالبة بحق العلاج لمن لا يمتلكون القدرة المادية. أخبروهم أن الأخلاق لا تعني زنا المحارم، فهناك مصطلحات كالطهر والعفة، أخبروهم أن الأخلاق لا

---

(1) azquotes.

تعني حق ممارسة الجنس مع الأطفال القُصر، فهناك حق التبرع للمحتاجين والجمعيات الخيرية . التي عندما تظهر الإحصائيات ستجد الملاحدة يتذيلون القوائم بشكل مستمر ، وهي ظاهرة تستحق التوقف عندها، إذ أظهرت العديد من الدراسات أن من يطلقون على أنفسهم "إنسانيون" هم أقل من يقدم المساعدات الإنسانية للمحتاجين[1]!

يعلق الكاتب C.Brooks على البحث الذي أجرته جمعية رأس المال الاجتماعي: "الفارق في التبرع للجمعيات الخيرية بين العلمانيين والمتدينين هو فارق دراماتيكي هائل"[2]. ويعترف بذلك الملحد والسياسي العمالي البريطاني روي هترسلي قائلاً: "لا أسمع أبداً عن منظمات إلحادية تأخذ الطعام إلى الفقراء، ولا أسمع عن غوث إلحادي". نحن لا نطلب من الملاحدة أمثال ستنجر وكراوس وبز ماير ودوكنز أن يجندوا شهرتهم ومناصبهم في الدعوة لسمو الأخلاق ومساعدة المحتاج ومحاربة الفقر والتبرع للجمعيات الخيرية، فهذه خزعبلات لا معنى موضوعياً لها في أدبيات الإلحاد، بل نطلب منهم أن يتوقفوا عن الترويج لهذه السقطات المخزية، وأن يكفوا الإنسانية شرهم.

ولكن مرة أخرى نعود للجملة الإلحادية الشهيرة: ولم لا؟ مع الإلحاد أنت من يحدد الصواب من الخطأ!

(1) Religious people make better citizens, study says by Pew Research Forum, May 13, 2009.

(2) Brooks, Arthur C., faith and charitable giving.

الميسوجينية (كراهية النساء)

هي جزء من العنصرية الجنسية وسبب رئيسي ومهم لاضطهاد النساء في المجتمعات الذكورية، كره النساء يمكن أن يتجلى بعدة صور، منها التمييز الجنسي، احتقار النساء، العنف ضدهن، واعتبار المرأة مجرد سلعة وأداة جنسية. تظهر كراهية النساء بأشكال مختلفة، في النكات والسخرية، المواد الإباحية، انتشار العنف وازدراء أجسادهن.. إلخ.

تأكيداً لما ورد في الفصل (سايكوباث "مختل نفسياً")، الذي بينت من خلاله أن النرجسية هي إحدى صفات الشخصية السايكوباثية، يجب الإشارة إلى أن احتقار المرأة هو إحدى صفات الشخصية النرجسية، الأمر الذي يؤكد سلامة التدرج في الصفات التي تجمع أيقونات الإلحاد الجديد، فهل هناك ما يدعم بالفعل وجود هذه الصفة "الميسوجينية" في المشهد الإلحادي؟ دعونا نتابع..

"منذ البدء حتى الآن كان الملحدون ندرة، الملحدة الأنثى لم تظهر على الأرض". كان هذا مقطعاً من قصيدة الشاعر الإنجليزي إدوارد يونق المولود عام 1681، وذلك قبل ظهور أول ملحدة في التاريخ، وأعني أرنستين روز في القرن التاسع عشر. عام 2016 صرحت منظمة "الملحدون" بأن نسبة 73 % من الملحدين

حول العالم هم من الذكور[1]. وبتاريخ 18 نوفمبر 2010 نشرت مجلة Discover دراسة بعنوان Sex differences in global atheism أظهرت أن الإلحاد عالمياً أقل انتشاراً عند النساء، كما أظهرت دراسة أخرى نشرتها BloombergView في 27 مارس عام 2015 تحت عنوان The atheism gap أن النساء الملحدات في أمريكا أقل نسبة من الرجال، بالرغم من أنهن أكثر عدداً. وتستمر الأدلة والبراهين على انتشار "الميسوجينية" عند الملحدين، ففي شهر 7 عام 2011: ريبيكا واتسون.. ناشطة حقوقية، ملحدة، تنشر فيديو تؤكد فيه انتشار التحرش الجنسي في أوساط الملاحدة. لاحقاً وفي نفس الشهر.. ريبيكا واتسون تستقل المصعد في أحد الفنادق التي تستضيف أحد المؤتمرات الإلحادية لتُفاجأ بشخص أبيض كبير السن يطلب منها الانضمام إليه في غرفته لتناول كوب من القهوة.. قامت ريبيكا بنشر الحادثة على أحد "البلوغات"، حيث أكدت انتشار ما يعرف بـ Misogyny أو (احتقار النساء) على نطاق واسع في أوساط الملاحدة[2]. بعدها بأسبوع تحدثت عن نفس الموضوع خلال انعقاد مؤتمر Center for Inquiry وبدعم من صديقها الملحد الشهير وأستاذ البيولوجيا PZMyers لتُفاجأ بمئات رسائل التهديد بالقتل والاغتصاب[3]!

---

(1) AAI Position Statement - Gender Balance.

(2) The Privilege Delusion by Rebecca Watson - Skepchick.

(3) PZ Myers and the Art of Shameless Dishonesty.

بعد ذلك قام ريتشارد دوكنز بتوجيه رسالة إلى ريبيكا واتسون بعنوان: "عزيزتي المسلمة (تشبيه من باب السخرية)، توقفي عن النواح.. أعلم أنك لا تستطيعين قيادة السيارة، وأنك لا تخرجين إلا برفقة محرم من الرجال، وأنك ستُقذفين بالحجارة لو ارتكبتِ الزنا، وأن زوجك يضربك.. الرجل دعاك إلى غرفته لتناول قهوة، لم يلمسك ولم يجبرك على شيء، ومع ذلك أيتها المسلمة تعتقدي أن لديك الحق في الشكوى.. أُنضجي"[1].

"لا يوجد استنتاج لمثل هذا المنطق سوى أن دوكنز لا يريد الاعتراف بأن التحرش قد تحول إلى ظاهرة في الأوساط الملحدة، لذلك قام بدفع التهمة في الاتجاه الخاطئ بعيداً عن مكانها الحقيقي، لتبدو كأنها ظاهرة غريبة عن هذه الأوساط! مع أن السويد، وهي إحدى أكثر الدول نسبة في السكان الملحدين، تصل نسبة التحرش بالنساء فيها إلى81 %، وهو رقم مهول بكل المقاييس"[2].

بالمقابل قامت ريبيكا بالرد على دوكنز قائلة: "الرجل الذي طالما أعجبت به لا يهتم بمشاعري أو تجربتي، لن أنفق الأموال بعد ذلك على شراء كتبه أو حضور ندواته ولن أوصي أحداً بذلك[3].

---

(1) Richard Dawkins comments directed at Rebecca Watkinsposted at PZ Myers blog Pharyngula.

(2) Sweden stands out in domestic violence study Published 05 Mar 2014.

(3) Richard Dawkins Gets into a Comments War with Feminists by Caitlin Dickson - The Atlantic Wire, Jul 06, 2011.

وبعدها بثلاث سنوات قام دوكنز بتوجيه رسالة اعتذار للفتاة مع التأكيد أنه غير نادم على أي شيء صدر منه في الماضي (عقلية التحجر)[1].

لم تكن ريبيكا واتسون هي الوحيدة التي تحدثت عن انتشار ظاهرة احتقار النساء Misogyny في أوساط الملاحدة، بل يبدو أنه صار أمراً شائعاً تتناوله وسائل الإعلام المختلفة بشكل مستمر وباعتراف كتّاب ملحدين. فعلى سبيل المثال، نشرت جريدة The guardian بتاريخ 18 سبتمبر 2011 مقالة بعنوان: "دوكنز فقد عقله.. الجنسي دوكنز يشوه سمعة الإلحاد"، مصطلح (جنسي) المقصود به التمييز العنصري تجاه المرأة، ثم عادت جريدة "الجارديان" في 26 سبتمبر 2011 لتنشر مقالة للكاتبة الملحدة Victoria Bekiempis بعنوان: "لماذا الإلحاد الجديد نادي أولاد؟"، كما نشرت أيضاً جريدة "واشنطن بوست" بتاريخ 15 مايو 2014 مقالة عن ميلودي هونستلي جاء فيها أن المذكورة أصيبت بصدمة عصبية بعد تلقيها سيلاً من التهديدات بالقتل، وذلك بعد أن طالبت بالحماية من الحرية المطلقة في النظام العلماني.

نشرت أيضاً Salon بتاريخ 3 أكتوبر 2014 مقالة بعنوان: "الإلحاد وصدمة نسائية"، تناولت فيها الثغرة الجنسية الهائلة والتمييز العنصري تجاه المرأة في الأوساط الإلحادية.

---

(1) Who is belittling what? by Richard Dawkins.

كذلك تناول الكاتب الملحد Matthew Facciani نفس الأمر بتاريخ 29 أغسطس 2015 في مقالة نشرتها The guardian بعنوان: "الإلحاد لديه مشكلة جنسية يجب أن نصلحها"، حيث ذكر أن هذا الأمر "موثق جيداً".

ويعلق أستاذ الأحياء بز مايرز على دوكنز بقوله: "في الوقت الذي نحتاج فيه إلى التوسع، فإن المتحدث الرسمي لحركتنا يملك سلوكاً مهيناً تجاه المرأة". تعرضت أيضاً جين ماكريقث (وهي ملحدة تملك "بلوغ" شهيراً) لتهديدات بالقتل والاغتصاب؛ لأنها تناولت تفشي ظاهرة كراهية النساء عند الملحدين.

الأمر ليس بالسهولة التي قد يتصورها البعض لدرجة أن موقع buzzfeed سبق أن أشار إلى أن "الميسوجينية" قد تسهم في سقوط الإلحاد الجديد، وذلك في مقال مثير للجدل نُشر بتاريخ 12 سبتمبر 2014، وجاء فيه على لسان عدد من النساء المشاركات في المؤتمرات التي يعقدها الملحدون أنه يتم تحذيرهن قبل حضور أي مؤتمر من التحرش المنتشر في هذه المؤتمرات، خصوصاً من الملحد الشهير مايكل شيرمر رئيس تحرير مجلة "المتشكك"، التي تؤكد حياديتها دائماً بالتشكيك في كل شيء ما عدا الإلحاد ونظرية التطور! كما تطرقت المجلة لبعض المواضيع التي تُبين هذه الظاهرة كمقالة هتشنز في مجلة "فانتي فير" بعنوان: "لماذا النساء لسن مضحكات؟" (يقصد ثِقالات الدم).

الملحدة مادلين موراي هي مؤسسة "ملحدون أمريكيون"، ومع ذلك فزوجها دان باركر هو من يتصدر لإلقاء الخطب والقيام باللقاءات والفوز بكعكة الشهرة، مخفياً إياها تحت جناحيه وكأنها صنم بلا روح.
إذاً، نحن أمام ثقافة عامة وليس مجرد حوادث فردية، وعندها يجب أن نسأل: من أين جاءت هذه الكراهية أو الاحتقار؟ وهل لها تأصيل في أدبيات الإلحاد؟ أم أنها مجرد حوادث فردية؟ الكشف عن الإجابة سهل جداً، ولا يحتاج إلى جهد كبير، وإليكم بعض الأمثلة:
يقول داروين في كتابه "أصل الإنسان" (ص326:): "المرأة أدنى في المرتبة من الرجل، وسلالتها تأتي في درجة أدنى بكثير من الرجل". بل ويذهب داروين لأبعد من ذلك بقوله: "المرأة لا تصلح إلا لمهام المنزل وإضفاء البهجة على البيت، فالمرأة في البيت أفضل من الكلب للأسباب السابقة"[1].
أدرك التطوري جون ديرنت هذه النظرة الدونية للمرأة عند داروين بقوله: "كان داروين يؤمن إيماناً عميقاً بأن مرتبة المرأة أقل بكثير من مرتبة الرجل، خاصة عند الحديث عن الصراع من أجل البقاء، وكان يضع البُله والمُعاقين والمتخلفين والمرأة في خانة واحدة، بل وكان يرى فيها نوعاً من القصور البيولوجي الذي لا يمكن تداركه"[2].
مثال آخر مع الدارويني كارل فوجوت: "المرأة بوضوح إعاقة تطورية حدثت للرجل، وكلما زاد التقدم الحضاري، زادت الفجوة بين المرأة

(1) THE AUTOBIOGRAPHY OF CHARLES DARWIN 1809-1882,PP. 232-233.
(2) John R. Durant, "The Ascent of Nature in Darwin's Descent of Man" p. 295.

والرجل. وبالنظر إلى تطور المرأة، فالمرأة تطور غير ناضج"[1].

أما نيتشه (الفيلسوف الملحد الشهير)، فيرى في كتابه "هكذا تكلم زرادشت" أن النساء مجرد قطط وأبقار (يقصد الإنجاب والرضاعة)، كما أُشتهر عنه أنه كان يقول: "المرأة فخ نصبته الطبيعة، فإن كنت ذاهباً للقائها فخذ معك السوط".

شبنهاور (الفيلسوف الألماني الملحد) اقترح استبدال مصطلح الجنس اللطيف بـ"الجنس المشوه"[2].

كذلك يقول العالم التطوري الشهير جوستاف لي بون: "حجم المخ الخاص بالمرأة يكاد يطابق ذلك الخاص بالغوريلا، المرأة تأتي في المرحلة السفلى من مراحل تطور الإنسان..."، ويكمل قائلاً: "المرأة أقرب بيولوجياً للهمج أكثر منها للإنسان الحديث المتحضر، لكننا نستطيع أن نستوعب المرأة كاستثناء رائع لحيوان مُشوه أتى بنتيجة على سلم التطور"[3].

يقول جيري برقمان في بحث أجراه عن الداروينية والمرأة[4]: "إن تاريخ الداروينية هو تاريخ ازدراء للمرأة باعتبارها أدنى من الرجل".

الملحد الشهير ماركيز دو ساد. (نعم.. اشتُقت "السادية" من اسمه). اشتُهر باحتقاره للنساء، ومن أقواله المتداولة في ذلك: "مصير

---

(1) STEPHANIE A. SHIELDS, "FUNCTIONALISM, DARWINISM, AND THE PSYCHOLOGY OF WOMEN: AP. 749.

(2) traduction par J.BOURDEAU,P.130.Arthur Schopenhauer, pensées et fragments.

(3) Gould, The Mismeasure of Man, p.105.

(4) The History of Evolution's Teaching of Women's Inferiority.

المرأة أن تكون فاجرة مثل الكلبة والمستذئبة، ويجب أن تنتمي لكل من يحصل عليها".

ولو أردت لأكملت بأمثلة أخرى كثيرة، لكن حتى لا أطيل دعوني أختم بمثال معاصر لهذه العقلية المهينة لكرامة المرأة وقيمتها، حيث ألغى دوكنز حضوره لاجتماع المشككين، وذلك بعد عاصفة من الهجوم تلقاها إثر قيامه بتشبيه النسوية (حركة مساواة المرأة بالرجل) بالإرهاب في إحدى تغريداته، بالرغم من أنه قام بحذف التغريدة بعد ذلك[1].

هذه هي المرأة عندهم! وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما النساء شقائق الرجال، ما أكرمهن إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم".

---

(1) Dawkins disinvited from skeptic conference after anti-feminist tweet Patheos January 27, 2016.

متلازمة داروين

تحوّلت نظرية التطور إلى دين يعتنقه الكثير من العلماء، وهم مستعدون لـ"كسر" أعناق الأدلة لجعلها متوافقة معها[1]. متلازمة داروين هي الإيمان الدوغمائي بأن كل الكائنات تأتي من أصل واحد، ومن ثم قضاء المال والجهد والوقت في حشر هذه الدوغمائية بأذهان الآخرين ولو بالتزوير والخداع، وتأتي بالتلازم مع عدائية واضحة لا تسمح بالتشكيك أو المساءلة، وهذا ما حدث مع أشهر جراح مخ وأعصاب في العالم البروفيسور بن كارسون حين تضامن بعض أساتذة وطلاب جامعة "إيموري" لمنعه من إلقاء محاضرة بدعوى أنه يشكك في الداروينية وينثر حولها الشبهات[2]!

تشترك هذه المتلازمة مع جنون الارتياب بأن المريض في كلتا الحالتين لديه مجموعة من الأفكار الوهمية التي لا تستند إلى أساس علمي أو منطقي، مع الإيمان التام بمصداقيتها والعدائية تجاه كل من يحاول التشكيك بها.. هذا الأمر لاحظتُه ليس عند الملاحدة فقط، بل حتى عند المؤمنين بنظرية التطور من أهل الأديان، بمجرد أن تؤمن بالتطور تُصاب مباشرة بالمتلازمة، فتتعصب لها،

---

(1) H.S. Lipson, "A Physicist Looks at Evolution," Physics Bulletin, Vol. 31, p. 138.

(2) Ipetitions - Stand Up to the Bullies, Emory University: Reaffirm Dr. Ben Carson's Welcome and Defend His Right to Express His Views.

وتشعر بالحاجة الملحة لأن تحشرها حشراً في أذهان الآخرين، وتحارب كل من يعترض عليها! وكأنه فيروس يصيب العقل!
في مناظرة مع الدكتور ستيفن ماير (أحد رواد التصميم الذكي)، قام الدكتور كارل جيبرسون (مسيحي تطوري) بعرض صورة لمولود بذيل، ثم اتضح أنها مزورة وقام بالاعتذار في موقعه متعللاً بأنه وجدها في موقع على النت[1]. والأمثلة كثيرة؛ وإذا أردت التأكد من المتلازمة فكل ما عليك فعله هو التشكيك في النظرية.. ثم شاهد كيف تحمر الأنوف! عندما تم اكتشاف رسومات هيجل المزورة (المعروفة بالتلخيص)، والتي يلخص فيها التشابه بين الكائنات في الطور الجنيني، (وقد قام بهذا التزوير لدعم نظرية التطور ونشرها في ألمانيا)، لكن دفاعه عن نفسه كان أشبه بالطامة حين قال: "كان عليَّ بعد الاعتراف بهذا التزوير أن أعُد نفسي مداناً ومنتهياً، لولا أنني أجد العزاء في أن أرى إلى جانبي في قفص الاتهام مئات من الجناة، بينهم كثير من الباحثين الذين يحظون بأكبر قدر من الثقة وعلماء الأحياء المرموقين، وإذ ذاك، فإن الأغلبية العظمى من الرسوم الموجودة في أفضل مراجع علم الأحياء وأبحاثه ومجلاته ستكون مستحقة لأن تُتهم بالتزوير بنفس القدر، إذ إنها جميعاً غير دقيقة وتم تعديلها بصورة

---

(1) Karl Giberson Apologizes for Photoshopped Image of Tailed Baby Evolution news June 6, 2014.

أو بأخرى"[1]. وكأنه يؤكد: "مع التطور، الكل يقوم بالتزوير.. فلماذا أنا بالذات؟!".

الرجل توفي في عام 1919 قبل اكتشاف العديد من قضايا التزوير مستقبلاً، ومع ذلك يبدو أنه كان يعلم جيداً ماذا يقول. شئنا أم أبينا.. التزوير، الكذب، التضليل، كارثة يجب التعامل معها عندما يتعلق الأمر بالتطور. والكارثة الأكبر هي استمرار هذا التزوير والكذب والتضليل في الكتب والمراجع العلمية، إذ بقيت رسومات هيجل المزورة في الكتب وكأن شيئاً لم يكن حتى بعد إعادة اكتشافها من قبل عالم الأجنة البريطاني مايكل ريتشاردسون وزملاؤه، وذلك عام 1997، حيث نقلت صحيفة SIENCE على لسانه: "يبدو أن هذا ("أي رسومات هيجل) من أكبر عمليات التزييف في علم الأحياء"[2]. "التلخيص" لأرنست هيجل لا يزال موجوداً في الكتب حتى الآن مع كافة ملحقاته، مثل ظهور الذيل والخياشيم في مراحل مبكرة من عمر الجنين، لكن دون ذكر اسم هيجل الملوث!

في لحظات صدق داروينية نادرة اعترف بذلك الملحد الدارويني الشهير ستيفن جاي قولد حين قال: "في سبيل إقناع الناس حول العالم بنظرية التطور.. قام هيجل بتزوير رسومات الأجنة.. هذا

---

(1) Francis Hitching, The Neck of the Giraffe: Where Darwin Went Wrong, New York: Ticknor and Fields 1982, p. 204.

(2) Haeckel's Embryos: Fraud Rediscovered Science 05 Sep 1997.

الأمر لم ينطلِ على خبراء الأجنة. وعلى الرغم من ذلك وبنحو مخجل، فقد وجدت الرسومات طريقها لمعظم الكتب في إعادة تدوير طائشة استمرت خلال قرن من الزمان"[3].

من بين كل النظريات العلمية، فإن نظرية التطور هي أكثر نظرية تحوي سجلاً حافلاً بالتزوير والخداع والكذب، وهي مع ذلك غير قابلة للمساءلة، وهذا يثبت المتلازمة من ناحية، ومن ناحية أخرى يُثبت أنها لم تكن يوماً عن علم؛ فالمهم إثبات النظرية. جرب البحث عن أشهر الخدع العلمية في التاريخ، وستجد أحفورة "بلتداون مان" تتصدر كل القوائم بعد أن استمرت في الكتب والمتاحف العلمية أكثر من 40 عاماً. وبذلك فقد جمعت النظرية بين أشهر حادثة تزوير في تاريخ كتب الأحياء وأشهر خدعة في تاريخ العلم. أعراض المتلازمة لا تقف عند ذلك، بل تواصل السير ومعها تتأكد الحاجة الملحة لإثبات التطور بأي شكل من الأشكال، حتى لو تطلب ذلك استخدام الكذب المشحون بالخيال.

نبراسكا مان، جافا مان، أورسي مان، إنسان بحيرة رودولف.. إلخ، كلها أحافير لأسلاف البشر ثبت أنها إما مزورة أو مضللة، والقائمة تطول؛ ولذلك سأكتفي بنشر بعض الأمثلة الشهيرة:

أيقونة تطور الحوت، أحفورة الرودوسيتوس، التي زعموا أنها الحلقة الانتقالية بين سلف الحوت الذي عاش على اليابسة (ذو الأرجل

---

(3) March 2000 issue of Natural History.

والزعانف) وبين الحوت، في مقابلة تلفزيونية مع مكتشف الحفرية الدكتور فيليب جنجريتش (مدير متحف الحفريات بجامعة ميشيغان بأمريكا)، حيث كانت المفاجأة أن طاقم التصوير لم يجد الزعنفة الخلفية في هيكل حفرية رودوسيتوس بالمتحف كما تظهر في الرسم، ولا الزعنفتين الأماميتين، لذلك سأله المقدم عن السبب! فرد حرفياً بأنه "خمّن" وجودها، ثم أكمل بأنهم وجدوا بعد ذلك أطرافه الأمامية واليدين والذراعين الأماميتين، وأنهم يعلمون الآن أنها لا تملك هذا النوع من الأذرع التي يمكن أن تنتشر مثل الزعانف في الحيتان، ولا ذيلاً يسمح بالسباحة كالحوت، كما اعترف بأخطاء أخرى متعمدة، وكيف أنهم أضافوا ذيل الحوت والزعانف مع عدم وجود ما يثبت ذلك في الحفرية، واختتم اللقاء قائلاً: "لذلك أنا على قناعة بأنه مجرد حيوان عادي كان يعيش على اليابسة"[1].

وهكذا مثل غيرها من أدلة التطور التي سقطت، فإن أحفورة رودوسيتوس لا تزال تقدم في الكتب والمناهج الدراسية بصفتها حلقة انتقالية، كما أن نفس الرسم المزور لا يزال موجوداً في موقع الأكاديمية الوطنية للعلوم بأمريكا، دون إشارة لاعتراف مكتشف الحفرية!

في شهر نوفمبر عام 1999، تنشر مجلة "ناشيونال جيوغرافيك" الداروينية العتيدة على غلافها أحفورة أركيورابتور، بعد أن قامت المجلة بشراء أحفورة من الصين واختلقوا اسماً علمياً هو أركيورابتور،

(1) Evolution: The Grand Experiment - Volume 1 by Dr Carl Werner, pg 219.

ثم تكفل خيال الرسام الدارويني بإعطائها شكلاً مناسباً لنظرية التطور، ومن ثم أعلنت المجلة عن خبر هزّ الأوساط العلمية آنذاك باكتشاف الحلقة الانتقالية بين الزواحف والطيور[1]! وبرغم التحذيرات المُسبقة من احتمالية التزييف، فإن المجلة أصرت على الإعلان عن الأحفورة، مما يثبت أن المجلات الداروينية يمكن أن تتجاهل الأمانة العلمية لمصلحة المال والشهرة والفوز بالسبق الإعلامي؛ فقد وجه الدكتور ستورس إل. أولسون (رئيس قسم علم الطيور بالمعهد السمسثوني الأمريكي) رسالة إلى المجلة جاء فيها: "لقد حذرتهم ولكن، اتضح لي في النهاية أن "ناشيونال جيوغرافيك" لم تكن مهتمة بأي شيء سوى المبدأ الدوغمائي الغالب بشأن تطور الطيور عن الديناصورات!".[2]

وقد تم الكشف عن عملية التزييف في شهر فبراير عام 2000، حيث أعلنت المجلة رسمياً أن التحليل الإشعاعي للعظام قد أكد عملية التزييف في واحدة من أبشع عمليات التزوير العلمي في القرن العشرين[3].

---

(1) Zhou, Zhonghe, Clarke, Julia A., Zhang, Fucheng. "Archaeoraptor's better half." Nature Vol. 420. 21 November 2002. pp. 285.

(2) Storrs L. Olson "OPEN LETTER TO: Dr. Peter Raven, Secretary, Committee for Research and Exploration, National Geographic Society Washington, DC 20036," Smithsonian Institution, November 1, 1999.

(3) Simons, Lewis M. (2000). "Archaeoraptor Fossil Trail" National Geographic. 198 (4): 128-132.

مثال آخر: يشرح كتاب "هولت بيولوجي" (ص: 718) . بكل وقاحة . كيف خرجت سمكة "الكولاكنث" قبل 320 مليون سنة (قبل أن تنقرض) إلى اليابسة بعد أن طورت أقدام ، وذلك برغم أن أول اكتشاف أثبت أن هذه السمكة لا تزال حية ترزق كان عام 1938، وأنها سمكة عادية ما زالت تعيش في أعماق المحيط!

لا تكمن أهمية هذا الاكتشاف في سقوط هذه الأيقونة الداروينية فقط (بالمناسبة هي لا تزال تدرس في الكتب بوصفها كائناً انتقالياً!)، بل في عدم ظهور أحافير "الكولاكنث" في الطبقات الأقل من 320 مليون سنة، وهو ما كان يجب حدوثه بما أن السمكة لم تنقرض، لكن لأنها لم تظهر في الطبقات الأحدث أعلنوا أنها نوع منقرض من الأسماك خرج لليابسة بعد أن طور أقدام ، وهذا يعصف بصلاحية قياس أعمار الكائنات عن طريق الطبقات الأرضية التي تظهر أو تختفي فيها أحافير هذه الكائنات والتي بناء عليها يتم الإعلان أنها أنواع منقرضة.

هذه النقطة المفصلية التي تهدم إحدى الآليات الرئيسية لنظرية التطور يتم تجاهلها وصرف الأنظار بعيداً عنها بنشر عناوين لافتة وفيها بعض التنازل مثل: "سمك لم يتطور من 300 مليون سنة"، أو "السمكة القادمة من عصر الديناصورات".. مع الحرص على عدم التشكيك بكون التطور (حقيقة مفروغاً منها) بغض النظر عن مخالفة الدليل لهذه الحقيقة!

مثال فاضح آخر: تمثال لوسي في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي يُظهر الكف والأقدام رغم عدم وجودهما في الأحفورة، بل ويُظهر الملامح بشكل مناسب لنظرية التطور على الرغم من عدم وجود بقايا أنسجة ناعمة تحوي DNA، يمكن من خلالها تحديد شكل الأنف والشفاه والأعين والشعر.. إلخ، لكن مع التطور لا يهم، فالرسام الدارويني قد تكفل بوضع ماكياج للقردة لوسي مع ابتسامة خجولة تُعطي الإيحاء بأنها من أسلاف البشر!

عام 2012، تم اكتشاف تلاعب العلماء بأعمار أحافير البشر في أكبر متاحف أوروبا بإسبانيا[1]. هذه الحادثة ليست الأولى أو الوحيدة، فقد سبق أن نشرت جريدة "الجارديان" بتاريخ 19 فبراير من عام 2005 مقالاً بعنوان: "كشف النقاب عن تزوير في أعمار أحافير الإنسان"، حيث ثبت أن البروفيسور Reiner Protsch von Zieten (أستاذ علم الأحافير في جامعة فرانكفورت) كان يزور أعمار الأحافير في دراساته لسنوات طويلة حتى تم اكتشاف هذا التزوير في عام 2004، مما أجبره على تقديم استقالته من الجامعة في العام التالي.

أيضاً أستاذ علم الأحياء التطوري في جامعة هارفارد (1998-2011)، Marc D. Hauser، الذي عُرف لسنين طويلة بأبحاثه عن سلوك الرئيسيات وبالأخص في إثبات التشابه السلوكي بين البشر والقردة. ففي عام 2010 وجهت الجامعة إليه تهمة سوء

(1) Theguardian - Jun 2012.

السلوك العلمي، وفي عام 2011 قدم استقالته[1]. وبما أن أبحاثه طوال تلك السنوات كانت ممولة من جهات حكومية، فقد تدخل مكتب النزاهة التابع لوزارة الصحة والخدمات الإنسانية في التحقيق، ليكتشف أنه قام بتزوير البيانات التابعة لأبحاثه طوال مدة وظيفته في الجامعة، بل حتى كتبه لم تخلُ من هذه البيانات المزورة وأشهرها كتاب: "عقول أخلاقية.. كيف صممت الطبيعة حس الخطأ والصواب") [2].والذي لا يزال بجانب رسومات هيجل وأحفورة رودوسيتوس وغيرها الكثير متداولاً أكاديمياً وكأن شيئاً لم يكن!).

الجهات الداروينية لا تكتفي بالترويج لأحافير أو دراسات مزورة فقط، بل تستخدم طرق تضليل متنوعة، ومن ذلك على سبيل المثال استمرار تقديم شجرة الحياة لداروين في الكتب والدوريات العلمية، بل حتى في موقع أكاديمية العلوم الأمريكية برغم سقوط هذه الشجرة عام 2009، بعد ثبوت وجود التزاوج الأفقي بين الأنواع المعزولة بعكس ما تدعيه الشجرة[3]! وكذلك ما نشرته مجلة "ناشيونال جيوغرافيك" في 1 سبتمبر من عام 2010 تحت

---

(1) Kumar, Gautam; Julia Ryan (July 19, 2011). "Embattled Professor Marc Hauser Will Resign from Harvard".Harvard Crimson. Retrieved October 27, 2011.

(2) Johnson, C., 2012. Former Harvard professor Marc Hauser fabricated, manipulated data, US says Boston Globe [online] September 5 [Accessed September 12, 2012.

(3) Scince Magz - 2692 - 21 jan 2009.

عنوان: "التطور مُشاهد: سحلية تنتقل من البيض إلى الولادة المباشرة"، من يكمل المقال سيعلم أن كل ما في الأمر هو أن بعض أنواع السحالي تحتفظ بالبيض في داخلها حتى يفقس ويخرج الجنين؛ فالأمر لا علاقة له بالتطور من وضع البيض إلى الولادة على الإطلاق، ولكنها استراتيجية خبيثة تعمل على ترسيخ مفهوم التطور في اللاوعي عن طريق استخدام عناوين مخادعة لا علاقة لها بالموضوع نفسه.

إحدى الاستراتيجيات المتعددة التي تستخدمها الجهات الداروينية المصابة بالمتلازمة هي أنها تقوم بحملة هائلة عند نشر أي دليل جديد أو حتى ورقة علمية مؤيدة لنظرية التطور، ثم تستمر في ذلك لفترات طويلة من الزمن، وعند اكتشاف الخطأ أو التزوير تكتفي بإشارة جانبية سريعة وتنتقل لموضوع آخر حتى تهدأ الضجة، ثم تعود لترسيخ نفس التضليل من حين لآخر.

مثال: نشرت مجلة Nature بتاريخ 27 يوليو عام 2011 دراسة بعنوان: "أركيوبتركس ليس أول طائر"، وذلك بعد أكثر من نصف قرن من الترويج للأحفورة على أنها أول حلقة انتقالية بين الديناصورات والطيور، ثم عادت مجلة live science الداروينية لتنشر عنواناً مضللاً بتاريخ 16 مارس2016 : "أركيوبتركس حلقة انتقالية"، هذه الطريقة الخبيثة تحقق هدفين:

- تجعل الدليل يرسخ في الأذهان وينتشر على نطاق واسع.
- تضع خط رجعة في حال وُجهت إليهم تهمة عدم المصداقية.

فإن اتُّهموا في مصداقيتهم قالوا: لقد أشرنا لذلك في العدد والتاريخ الفلاني! إشارة على طريقة "تحت الرادار"! أو أنت لم تقرأ المقال كاملاً! وهذا أسلوب خبيث لدفع تهمة التحيز الدوغمائي.

في الوقت الذي يستخدم فيه العوام هذه الدراسات والاكتشافات والعناوين كدليل على التطور دون أن يعلموا أي شيء عن الإشارات الجانبية؛ وذلك نتيجة لتشبعهم بالعناوين الرئيسية المضللة والدعايات الضخمة التي استمرت سنوات، وأدت في النهاية إلى ترسخ مثل هذه الادعاءات في الأذهان بوصفها حقيقة لا تقبل الجدل.. يطرح سؤال نفسه الآن: هل الإعلان عن التزوير دليل على مصداقية الجهات الداروينية كما يدعي البعض؟ بالطبع لا، وسأبين لماذا.. تخيل أنك تتعامل مع مصرف بنكي، وفي أحد الأيام تم اكتشاف قضية تزوير قام بها أحد الموظفين وأعلن البنك عنها في وسائل الإعلام، هل ستهتز مصداقية البنك في نظرك؟ لا، حسناً.. قضية ثانية.. لا.. ثالثة.. ممكن.. فماذا عن رابعة وخامسة وعاشرة؟ هنا سيفقد البنك كل مصداقية في نظرك. اكتشاف التزوير والإعلان عنه لن يكونا في هذه الحالة سوى دليل على شيء واحد فقط، ليس مصداقية البنك، بل وجود قضايا تزوير لم يتم اكتشافها بعد، وأخرى قد تكون تُدار الآن، لهذا أصبحت فاقداً لمصداقية الجهات الداعمة للتطور، أو كما قال كريق أولسن في رواية "Envy": "كم يصعب قول الحقيقة في قصة مملوءة بالكذابين".

في محاضرة ألقاها أستاذ الأحياء سابقاً المناهض لنظرية التطور الدكتور كنت هوفند بعنوان "الكذب في الكتب المدرسية" قال: (كدنا أن ننجح قبل عدة سنوات في إصدار أمر قضائي بإزالة الكذب من الكتب المدرسية في أركنساس. ذهبت إلى هناك لأدلي بشهادتي أمام السيناتور، والتي استمرت قرابة 45 دقيقة، تقول المذكرة: ولاية أركنساس لن تدفع من أموال الضرائب لشراء كتب مدرسية تحوي معلومات مزورة أو تم إثبات عدم صحتها، مثل دليل التلخيص لأرنست هيجل أو وصف الزائدة الدودية بأنها عضو ضامر ودليل على التطور، أو تقديم عظام الحوض في الحوت بوصفها بقايا لأطراف ضامرة.. إلخ. بعد أن خرجنا من القاعة قالت لي موظفة في الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية الذي نجح في إحباط المذكرة: "هذه مذكرة ضد نظرية التطور"؛ فأجبتها: "سيدتي، المذكرة لم تذكر نظرية التطور! كل ما ذكرناه هو أننا نطالب الولاية بعدم إهدار أموال الضرائب التي ندفعها نحن مقابل تعليم أبنائنا أدلة كاذبة أو مضللة". ردَّت: "لكن كل الأدلة المُشار إليها هي أدلة تدعم نظرية التطور!"، فقلت: "سيدتي.. هل الأدلة التي ذكرناها كاذبة بالفعل؟"، قالت: "حسناً.. هي كذلك، ولكن ما يهمنا هو أن المذكرة معادية لنظرية التطور كما سبق أن أخبرتك"). يُكمل الدكتور هوفند: "لقد كانت تعلم تماماً أنه في حال إزالة هذه الأدلة فلن يتبقى شيء يدعم التطور".

"في مناسبة أخرى، وأثناء مناظرة أجريتها ضد أستاذ أحياء بجامعة غرب فلوريدا"، والكلام للدكتور هوفند، "قال لي: أنت تقول إن الكتب مملوءة بالكذب، حسناً.. أتفق معك.. أغلب الأدلة ثبت أنها إما مزورة أو خاطئة، ولكن بماذا نستبدلها برأيك؟ لابد أن يكون هناك أدلة نقدمها للطلبة"[1].

ما سبق يؤكد كلامي، المهم هو إثبات التطور بغض النظر عن صحة الأدلة والدراسات، ومن ثم صحة النظرية! وهذا يذكرني بالراهب الذي استمر في نشر الهندوسية للكسب المادي وتماشياً مع الموجة السائدة، برغم أنه لم يعد مؤمناً بها!

---

(1) Lies in the Textbooks - Kent Hovind.

لعنة العلموية

"العلم بلا قيم ومبادئ لا يفعل شيئاً سوى أنه يجعل منك شيطاناً ذكياً"[1].

"العلموية" هي مصطلح يشير إلى الاعتقاد بالتطبيق الشامل للمنهج العلمي والطريقة العلمية، ووجهة النظر التي تقول إن العلم التجريبي يشكل الرؤية الكونية الأكثر موثوقية أو الجزء الأكثر قيمة من تعلم الإنسان الذي يستبعد وجهات النظر الأخرى، ويُعرف هذا المذهب بأنه "وجهة النظر التي ترى أن الطرق الاستقرائية المميزة للعلوم الطبيعية هي المصدر الوحيد للمعرفة الواقعية الحقيقية"، كما أنها وبشكل خاص تستطيع وحدها أن تسفر عن المعرفة الحقيقية للإنسان والمجتمع.

وكثيراً ما ينطوي المصطلح على أكثر التعبيرات تطرفاً للمدرسة الوضعية المنطقية، واستخدمه علماء الاجتماع مثل فريدريك هايك، وفلاسفة العلم مثل كارل بوبر، وفلاسفة مثل هيلاري بوتمان وتزفيتان تودوروف، وذلك لوصف التأييد الدوغمائي للمنهج العلمي واقتصار جميع المعارف على تلك التي يمكن قياسها فقط.. باختصار، هي الاختزال المفرط لجميع المعارف الإنسانية!

هل تُلمح كارثة في الأفق؟ حسناً.. أنت لم ترَ شيئاً بعد!

---

(1) Brainyquote - C. S. Lewis.

في الوقت الذي يدعو فيه ريتشارد دوكنز العلماء إلى الانضمام إليه في الحرب ضد الأديان، يقف أحد أكبر علماء الأحياء في الوقت الراهن فرانسيس كولنز ليقول بغصة: "إحدى أعظم المآسي في وقتنا الحاضر تكمن في العبارة المصطنعة بأن العلم والدين يجب أن يكونا في حرب دائمة" [1].جملة تُثبت نجاح الترويج للصورة النمطية المخادعة التي تقول إن العلم والدين على طرفي نقيض! لا أعلم كيف يمكن أن يكون هذا الأمر صحيحاً! فالدين تشريع ومنهاج حياة، بينما يقتصر العلم على شرح آلية عمل الطبيعة، نعم هناك الكثير من الخرافات التي لحقت بالأديان، والتي قد يلعب العلم دوراً مهماً في نفيها، لكن المشكلة تكمن في التعميم. كل الأديان خرافة والعلم هو الحل! الحل في ماذا؟ دحر الخرافات في تفسير عمل الطبيعة؟ إذا كان هذا صحيحاً فأنا أول من سيدعمك، لكن قبل ذلك دعني أخبرك بأن الأمر مربك بالنسبة لي! هذا ليس ما أشاهدك تفعله، وإذا كانت "نيتك" مختلفة عمّا تفعله فأنا لست بقارئ أفكار! الخرافات التي أراك تحارب ضدها هي الله والدين عموماً، والحل الذي أشاهدك تقترحه هو أن نحكم على كل شيء بالعلم التجريبي فقط، وهذا يعني استبدال العلم بالعلموية، وتحويله من نعمة ظهر أثرها على يد عمالقة أمثال ابن الهيثم ونيوتن وباستير إلى لعنة تتجسد على يد مجموعة من الساخطين الباحثين عن المال والشهرة أمثال هوكنج ودوكنز وكراوس.

---

(1) The Language of God.

من المثير للسخرية أن هذا الادعاء نفسه غير قابل للإثبات العلمي التجريبي! يقول سكوت كلوسندورف: "الادعاء أن العلم هو المصدر الوحيد للمعرفة ليس حقيقة علمية، بل ادعاء فلسفي. إنها العلموية تقدم بصورة العلم"[1].

كيف تكون العلموية هي الحل في التمييز بين الجيد والسيِّئ؟ بين الصواب والخطأ؟ كيف تستطيع العلموية أن تثبت لي تجريبياً قيمة التضحية والكرم والإيثار؟ والطامة الكبرى أنه تحت مظلة العلموية سيكون من الخطأ الإبقاء على ذوي الاحتياجات الخاصة، بل ينبغي التخلص منهم لإنتاج مجتمع سليم صحياً، وهو ما سبق أن حدث بالفعل عندما حكمت العلموية في ألمانيا النازية.. قام العلماء بوضع برنامج باسم "T4" وينص على القتل (أطلقوا عليه "الرحيم") لكل من لا يرجى شفاؤهم بما في ذلك ذوو الاحتياجات الخاصة.[2]

هذا التدهور الإنساني كان نتيجة لبرنامج لقي صدىً واسعاً في بدايات القرن الـ20 وعُرف بتحسين النسل، والذي يُنظر للمريض أو المعاق من خلاله وكأنه وباء، أو حتى مجرم يجب التخلص منه، لذلك قامت السلطات النازية عام 1938 بنشر ملصق تحريضي مثير للاشمئزاز يُظهر صورة شخص من ذوي الاحتياجات الخاصة، مع جملة تقول: "هذا المعاق سيكلف المجتمع 600000 فرانك

(1) The Case for Life: Equipping Christians to Engage the Culture.

(2) Proctor (1988): 177.

طوال حياته، أيها المواطن هذا مالك". إذا تعجبت كيف يمكن أن تنحدر الإنسانية إلى هذا المنزلق؟ فانتظر حتى تفهم السبب ويبطل العجب!

يصف المؤرخ هيكمان تأثير الداروينية في هتلر قائلاً: "لقد كان مؤمناً راسخاً بالتطور، ومبشراً به، وأياً كانت عقده النفسية الأعمق والأغوص، فإنه من المؤكد أن فكرة الصراع كانت مهمة بالنسبة له، لأنه يبين بوضوح في كتابه "كفاحي" عدداً من الأفكار التطورية، وخاصة تلك التي تؤكد على الصراع والبقاء للأصلح وإبادة الضعفاء لإنتاج مجتمع أفضل"[1].

نواصل معاينة أثر هذه الكارثة المسماة بالعلموية: سمعتَ أو قرأتَ بالتأكيد عن دوكنز وكيف أن التحرش اللطيف بالأطفال لا يحدث أثراً سلبياً، أو كراوس وادعائه أن زنا المحارم ليس خطأ أخلاقياً موضوعياً، أو باركر وكيف أن الاغتصاب يمكن أن يكون أخلاقياً، أو ستنجر والترويج للتخلص من المعاقين ونكاح الجثث والحيوانات. هل تعتقد أن هذه حملة جديدة لتقويض الأخلاق وهدم الكرامة الإنسانية؟ حسناً.. أنت مخطئ! هي ليست كذلك، فهؤلاء يعلمون جيداً ماذا يفعلون، هذه الحملات ما هي إلا استكمال لحملة بدأت أواخر أربعينيات القرن الماضي، والتزام أيديولوجي بالسير على أثرها وإحيائها من جديد، بل والتوسع فيها!

---

(1) Hickman, R., Biocreation, Science Press, Worthington, OH, pp. 51-52, 1983; Jerry Bergman, "Darwinism and the Nazi Race Holocaust", Creation Ex Nihilo.

تعرّف إلى الملحد الفريد كنسكي (عالم الأحياء الأمريكي الشهير والأب الروحي للثورة الجنسية في الغرب)، الذي يُعتبر كتاباه: "السلوك الجنسي للرجل" (1948) و"السلوك الجنسي للمرأة" ((1953 ثورة في الترويج للحرية الجنسية والشذوذ الجنسي، وذلك بعد أن قام بوضع سلم يستطيع الشخص من خلاله أن يحدد درجة ميوله الجنسية.

لقد صورت مثل هذه الأبحاث الناس وكأنهم مجرد أدوات لممارسة الجنس بكافة أشكاله حتى مع الحيوانات والأطفال القصر والرضع، ومن ثَمَّ فقد غيرت نظرة المجتمع الغربي للجنس إلى الأبد. هل انزعجت؟ اِنتظرْ حتى نكمل..

كان الرجل يشجع مرافقيه، أو بمعنى أصح العينات البشرية التي يستخدمها على الدخول في كافة التجارب الجنسية تحت أنظاره بحجة البحث العلمي، ويخبرهم بأنهم يؤدون خدمات كبيرة للعلم، حتى إن الكثير من هذه العينات كانت من المتحرشين والمومسات والشواذ والمعتدين. والحقيقة أن العلم لا دخل له بالأمر من قريب ولا من بعيد، هذا العلم المسكين الذي يستخدمه هؤلاء لتسميم الإنسانية وقتل الأخلاق وإهانة البشرية. وبكل بساطة.. الرجل كان يمارس إجرامه ورغباته المريضة لا أكثر ولا أقل.

ويبقى السؤال الذي دار بخلد زملائه في المهنة: من أين حصل على البيانات بخصوص الممارسة الجنسية مع الأطفال مثلاً؟ الإجابة هي من نفس المادة التي تُصنع منها الكوابيس وتقشعر لها الأبدان.

ذكرت الدكتورة جوديث رايزمان في كتابها الذي أثار ضجة كبيرة "الجنس، الأكاذيب، وكنزي"[1] ما سبق أن أكدته الملفات الجنائية مراراً وتكراراً عبر السنوات: "قام كنسكي بتشجيع مغتصبي الأطفال في منزله وفي أماكن أخرى، وتراوح عدد الضحايا ما بين 315 إلى 2000 طفل، والعدد مذكور في كتابه بشكل غير مباشر. على سبيل المثال: الجدول 35 الصفحة 180 من كتاب "السلوك الجنسي للرجل"، ذكر فيه بلوغ النشوة للأطفال من 4 شهور إلى 4 سنوات بتفاصيل دقيقة، وذلك لإثبات حاجة الأطفال للرضا الجنسي بكافة أشكاله! ومما يثير العار والخزي أن مجلات شهيرة مثل "تايم" و"لايف" كانت تنشر أبحاثه باستمرار دون أن تتساءل عن مصدرها أو كيفية توثيقها!". وتضيف الدكتورة رايزمان: "كل من كتب سيرة الرجل ذكر أنه كان سادياً، ثنائي الجنس، مهووساً به، أغوى طلابه وزوجته وأصدقاءَها مع عوائلهم للقيام بحفلات جنس جماعي معيبة هو وزملاؤه، أمثال واردل بوميروي وكلايد مارتن وبول جبهارد الذين كانوا يرون في هذا الانحلال رداً على الأخلاق الدينية وضيق الأفق"، وهذا يؤكد ما ذكرتُه سابقاً من أن الهدف هو محاربة الأخلاق وإهانة الجنس البشري. الهدف لم يكن العلم أو الأبحاث، بل كان كما أشار مايكل جونز في سيرة الدكتور كينسي: "هي حملة باسم العلم لتقويض الأخلاق التي تحد من الحرية الجنسية، حملة لنشر ثقافة الانحلال

---

(1) Dr. Judith Reisman Sex, Lies and Kinsey.

في المجتمعات الغربية. إن تأثير هذه الحملة في الثقافة الجنسية بل وحتى تشريع القوانين كان ناجحاً ومذهلاً تماماً".

يدعي البعض أنه بالرغم من السقوط الأخلاقي كانت التجارب والبيانات صحيحة، وهذا خطأ فادح. تقول الدكتورة رايزمان في نفس كتابها السابق: "أُجبر الضحايا على تنفيذ متطلبات الدكتور كينسي ورغباته بما يوافق أهدافه، والتجارب أجريت على أشخاص غير أسوياء ولا يمثلون الشريحة العادية للمجتمع، فهناك 200 مهووس بالجنس و1400 من مرتكبي الجرائم الجنسية والشواذ والمومسات ونزلاء السجون". ولا تزال العديد من الجهات الأكاديمية والمؤسسات ومنها المجموعات التي تطالب بحقوق الشواذ وممارسة الجنس مع القصر تستخدم أبحاث كينسي لتبرير جداول أعمالها، وتتغافل عن هذه الحقائق المريعة والصادمة، الحقائق التي تقول: لا توجد ثورة جنسية، بل مجرم مريض استخدم العلم لتبرير أجنداته الشخصية، وهو أمر ليس بالغريب على العلماء الملاحدة.

من قصص العلموية الإلحادية أيضاً ما نشرته جريدة The Scotsman في شهر ديسمبر من عام 2005 في مقالة بعنوان: "جيش ستالين النصف بشر والنصف قرد"[1]، حيث إنه وفقاً لوثائق سرية أمر ستالين العلماء السوفييت ببحث إمكانية

(1) The Scotsman 12-2005 Blasts from the past: The Soviet ape-man scandal 20 August 2008.

تزاوج البشر مع القردة لإنتاج جيش لا يقهر. ولم لا؟ فالرجل (ستالين) جمع بين الشرين، فهو من ناحية مؤمن بالداروينية ومبشر بها، ومن ثَمَّ فهو يرى البشر مجرد حثالة كيميائية، ومن ناحية أخرى هو ملحد يمارس حقه الطبيعي في نسبية الأخلاق. وهو فوق ذلك المشرع، وهذا يعني أنه هو من يحدد الخطأ والصواب، إذاً.. فقد صار الأمر مبرراً.

تواصل المقالة: "عام 1926 أصدر المكتب السياسي الأمر لأكاديمية العلوم ببناء آلة حرب حية: جندياً قوياً، مطيعاً، صبوراً، مقاوماً، يستطيع أن يتغذى على أي شيء، عندها ظهر في الأفق اسم إيليا إيفانوف".. نعم هذا هو الرجل المناسب، ومَنْ غير أكبر عالم تهجين في روسيا يمكن أن يقود هذه التجارب؟ قام ستالين بمنح إيفانوف 200 ألف دولار مع التبريكات في المضي قدماً لإجراء الأبحاث والتجارب. ووفقاً لنظرية التطور فإن هذا التزاوج ممكن نظرياً، فالبشر والشمبانزي يُفترض أنهما من نفس النوع، كلاهما يتقاسم 95 % من تسلسل الحمض النووي، و99 % من ترميز الحمض، حتى إن كان النسل هجيناً لا يعقب فهذا غير مهم، الحصان والحمار من نفس النوع ويمكن أن يتزاوجا، النمر واللبوة أيضاً، إذاً.. لا ضير ما دامت المشكلة الأخلاقية قد أُزيلت، وصار الخطأ صواباً بأمر المشرع، وما دامت نظرية التطور تشير لإمكانية هذا التزاوج علمياً لأن البشر والقردة من نفس النوع.

وبالفعل بدأت أول تجربة في معهد باستور – كوناكري كينيا.. إذ قام إيفانوف بالتلقيح الاصطناعي لثلاث من إناث الشمبانزي بالحيوانات المنوية للبشر، وانتظر النتيجة، لكن بلا فائدة! أعاد هذه التجارب في روسيا ولكنها توقفت بعد أن حُكم عليه بالمنفى في كازاخستان حيث توفي بعدها بعامين.

اليابان أيضاً كان لها نصيب من العلموية في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية، يقول أحد شهود العيان: "كانت صرخات الألم تهز المكان وأنا أقوم بقطع صدر السجين الصيني بسكين كبيرة"، وأكمل المزارع الياباني الذي بلغ من العمر 72 عاماً: "لم أنسَ هذه الحادثة لأنها كانت التجربة الأولى بالنسبة لي بعد التحاقي بالجيش الياباني، كان هذا التشريح جزءاً من مشروع حكومي يقضي بتطوير أسلحة بيولوجية تحمل جرثومة الطاعون"[1].

وتستمر لعنة العلموية، لكن هذه المرة من أمريكا.. في ستينيات القرن الماضي قامت مجموعة من العلماء الأمريكيين بنشر مرض الحصبة في إحدى قبائل الأمازون البدائية، وذلك لدراسة الآثار المترتبة على الاصطفاء الطبيعي في المجتمعات المعزولة[2]. وكأن من قام بهذه الجريمة البشعة وحوش لا تعرف الرحمة لأنها تنظر للبشر بصفتهم مجرد حيوانات متقدمة على سلم التطور! هذه جريمة لا يمكن تبريرها سوى عندما تحكم العلموية.

---

(1) Nytimes March 17, 1995.

(2) الجارديان – 2000-9-23.

وبما أن كوريا الشمالية بلدٌ ملحدٌ، إذاً فلا بد أن يكون لها حصة من العلموية.. مجموعة من التجارب المريعة أُجريت على المساجين هناك.. حيث تم حقن نوع جديد من السم في أجساد 50 مسجونة، وذلك لقياس سرعة القتل. وتنوعت التجارب من إجراء عمليات جراحية بغير مخدر إلى التجويع المتعمد لدراسة الحالة العقلية للضحية، حتى تعريض عوائل كاملة إلى نوع جديد من الغاز السام[1]!

الآن.. هل توجد ملامح لمثل هذه الممارسات في وقتنا الحاضر؟ الإجابة هي لا، على الأقل بشكل علني، فالمجتمع العالمي يدعي الإنسانية والرحمة، ولن يجاهر بذلك حتى في حال حدوثه، ولكن ماذا عن أيقونات الملاحدة الجدد؟ هل يحاولون الترويج لنفس هذه المفاهيم ولو على استحياء؟ هل يؤسسون لنفس المادة التي أفرزت هذا الجنون؟ هل يروجون للعلموية؟ الإجابة المخيفة هي نعم، ولا تتعجب؛ فالعلموية جزء لا يتجزأ من الإلحاد.

يقول الفيلسوف الملحد مايكل روز: "يعتقد الملحدون الجدد أن العلم يستطيع أن يحل مكان الدين في الإجابة عن الادعاءات حول الوجود، وبعضهم يعتقد أن العلم يستطيع بناء نظام أخلاقي، بالنسبة لي.. هذا يبدو كدين آخر"[2].

---

(1) "Death, terror in N. Korea gulag NBC News investigation uncovers horrific, extensive atrocities Revealed: the gas chamber horror of North Korea's gulag by Antony Barnett, February 1, 2004 Guardian Unlimited.

(2) Michael Ruse - Curb your enthusiasm.

عندما يكون العلم التجريبي هو الحكم، فما الذي تعنيه الرحمة والإنسانية أصلاً؟ القناعة بشيء تستلزم بالضرورة تقبُّل إفرازاته. هم لا يجاهرون بذلك، لكنهم يزرعون نفس البذرة الخبيثة التي يظهر محصولها من وقت لآخر دون أن يسلط عليه الضوء، أو يتم التحذير من سميته، والذي أدى إلى مذبحة مركز المعاقين في طوكيو- اليابان، حيث ذكرت جريدة "الديلي ميل" بتاريخ 25 يوليو 2016 أن الموظف السابق بالمركز ساتوشي ويماتسو (26 عاماً) قام بقتل 19 شخصاً وجرح 25 آخرين قائلاً: "أريد التخلص من كل المعاقين في العالم".

هل تتذكرون مقولة الملحدة مارجريت سانجر: "الشيء الأكثر رحمة الذي تفعله العائلة لأحد أعضائها الرضع هو قتله".[1] ألا يؤكد دوكنز "أن الجنين ليس أكثر إنسانية من خنزير بالغ؟!"[2] ألم تنشر جريدة "التلجراف" مقالة عن بعض العلماء في أكسفورد يعطون للوالدين حق قتل الرضيع، وأن هذا لا يختلف عن الإجهاض؟[3] ألم يردِّد هوكنج "البشر مجرد حثالة كيميائية على كوكب متوسط الحجم؟"[4] هل قرأت كلام الإعلامي الشهير بيل ماهير الذي يقول فيه "يجب أن نروج للموت؟" (إشارة إلى ضرورة تقليص

---

(1) Margaret Sanger, Women and the New Race (Eugenics Publ. Co., 1920, 1923).

(2) Lifenews MAR 14, 2013.

(3) Telegraph 29 Feb 2012

(4) From an interview with Ken Campbell on the 1995 show Reality on the Rocks: Beyond Our Ken.

العدد السكاني للعالم)[1]. ألم تسمع بمطالبة الملحد الدارويني السير ديفيد أدنبره بوقف تقديم المساعدات الغذائية لفقراء العالم الثالث وذلك لتقليص عدد سكان الأرض؟[2] فماذا بعد ذلك؟

الخطورة لا تتشكل في زرع هذه البذور في وجدان البشرية فقط، بل في محاربة كل من يحاول الكشف عن عدم صلاحيتها للاستهلاك البشري، وأعني من يخالفهم من العلماء، فقد شن أنصار العلموية، وعلى رأسهم أيقونات الإلحاد الجديد، حملة إعلامية شرسة بقيادة جيري كوين، مايرز، دوكنز، هاريس.. حيث اتهموا عالم الأحياء الكبير فرانسس كولنز (المدير السابق لمشروع الجينوم البشري) بأن "إيمانه بالله يؤثر بشكل سلبي في أبحاثه العلمية"! على سبيل المثال سخر هاريس من كولنز لأنه يقول "إننا لا نستطيع فهم أنفسنا من خلال العلم التجريبي"؛ وقال جيري كوين "إن كولنز مُخجل لمنظمة الصحة العالمية"، في حين قال بز مايرز عن كولنز "إنه خلقي مُتخفٍّ يحارب النظريات العلمية"[3].

ولا عجب، فمثله من العلماء يشكل تهديداً حقيقياً للصورة النمطية التي يروجون لها، كما أنه لم يخضع للموجة وينضم للطائفة، وهذا يعني أنه ضدهم ويؤكد ما ذكرتُه في الفصل السابق "بلطجي مثقف!". هي كالعادة مجرد اتهامات فارغة تنطلق من رؤيتهم الإلحادية الضيقة، ولا تملك أي صلاحية حقيقية، وسأقدم الدليل:

---

(1) Infowars October 11, 2012.

(2) Telegraph No, Sir David Attenborough, the end of the world is not nigh Sep 18, 2013.

(3) Shadowtolight wordpress January 10, 2015.

ماذا لو قمنا بمراجعة بسيطة للأوراق العلمية لكولنز؟ ليس في مقابل واحد من هؤلاء، بل في مقابلهم جميعاً، وذلك في الفترة الممتدة ما بين الأعوام 1971 إلى 2007؟

ملاحظة: أنا أقول (الأوراق العلمية)، وليس (الخرافات الإلحادية وخزعبلات نكاح الجثث وكتب وحش الإسباجتي الطائر).

عندما قامت مدونة shadowtolight بمراجعة الأوراق العلمية، وجدت أن فرانسس كولنز يتفوق في عدد الأوراق العلمية على دوكنز وهاريس وكوين ومايرز مجتمعين[1]. لذلك فإن ادعاءهم أن إيمان كولنز يؤثر في أبحاثه العلمية بشكل سلبي هو ادعاء على طريقة "رمتني بدائها وانسلت"! فعندما نراجع التاريخ العلمي نجد أن عكس ما يقولون هو الصحيح، الإلحاد هو ما يؤثر سلباً في الأبحاث العلمية، إذ يسيطر العلماء الملاحدة على قوائم أكثر من قام بعمليات التزوير العلمي، وذلك لدعم وإثبات رؤيتهم الخاصة ونظريتهم المقدسة (التطور). هم من تؤثر رؤيتهم الإلحادية في النظريات العلمية وليس العكس كما يدعون.

وقد بدأ يتضح الأثر المدمر للعلموية حتى في أعين العلماء أنفسهم، إذ صوّت معظم علماء بريطانيا عام 2016 على أن ريتشارد دوكنز يُسيء استخدام العلم ويعطيه صورة مشوهة[2].

استبدال العلم بالعلموية هو أحد أخطر إفرازات الإلحاد بكافة أشكاله.

---

(1) Shadowtolight wordpress January 10, 2015.

(2) دراسة أجرتها Rice University وشملت 137 عالماً من بريطانيا ونشرتها العديد من المواقع، منها Arstechnica بتاريخ 01-11-2016.

أصل الخرافات



(لاحظ التشابه بين شعار الإلحاد والوثنية)

كان الغرض الرئيسي للداروينية هو دفع أي آثار باقية لإله بعيداً عن علم الأحياء، ولكن النظرية استبدلته بإله خارق ومعبود آخر، الصدفة القادرة على كل شيء[1].

يؤكد ذلك داروين بقوله: "الطبيعة تخلق ولا حد لقدرتها على الخلق"[2].

"عبقرية تشارلز داروين"، كان هذا عنوان برنامج وثائقي شاهدتُه على قناة "ناشيونال جيوغرافيك"، الرجل الذي اكتشف أمراً عظيماً غيَّر نظرة البشرية للحياة! نعم.. اكتشف، الأوروبيون مفتونون بهذه الكلمة.

ولأن الشيء بالشيء يُذكر، فإن اكتشاف داروين يذكرني باكتشاف كولومبوس لأمريكا، يقولون إن الرجل "اكتشف" أرضاً جديدة. ولكن.. كيف تكون جديدة برغم أن آلاف القبائل الهندية تعيش هناك منذ آلاف السنين؟

---

(1) Theodore Roszak, Unfinished Animal (1975 (p.101-102.

(2) The Origin of Species - Chapter 14. Recapitulation and Conclusion.

تخيل أن هناك لص سيارات قال: "سوف أخرج إلى الشارع الآن، وأكتشف سيارة وآخذها لي"، هل نسمي ذلك اكتشافاً أم سرقة؟ عموماً نعود لما يُسمى باكتشاف داروين:

نحن الآن في النصف الأول من القرن الـ19، الأجواء السياسية والاجتماعية "العلمانية" معادية للدين السماوي، لدرجة أنك تكاد تشم ذلك في الهواء، المجتمع العلمي في نهاية الأمر هو جزء من المنظومة الاجتماعية، يتأثر بالأجواء المحيطة ويساير الموجة السائدة، وهذا ما يسميه توماس كون "البارادايم" أو النموذج والإطار الفكري السائد، ومن ثَمَّ فمن الطبيعي أن كل ما يوافق هذا "البارادايم" سوف يكون مُرحباً به، وفي ذلك يقول الداروويني الشهير نيل إلدريج: "داروين بذل كثيراً لعلمنة العالم الغربي أكثر من أي مفكر منفرد آخر عبر التاريخ"[1].

كان تشارلز داروين الرجل الذي فشل في الحصول على شهادة من كلية الطب والمُصاب بفقدان 3 من أبنائه الـ10 في سن مبكرة، يبحث عن النجاح والشهرة، أو ربما الانتقام! يُقال أنه في ظلام الحزن يعثر الإنسان على نار الكراهية التي تتجسد أحياناً على شكل إنكار الدين أو حتى الوجود الإلهي.

نتوقف قليلاً عند هذه النقطة قبل أن نكمل.. لا أعلم لماذا ترتبط المآسي ارتباطاً وثيقاً مع مشاهير الإلحاد ومنظريه؟ فقد ذُكر عن فرويد أن أباه اليهودي كان شخصاً مهيناً، ونتيجة لذلك كان

---

(1) Darwin: Discovering the Tree of Life (2005) p.12.

فرويد يتفاخر بالإلحاد ونبذ الأديان في مقابل جبن أبيه، وفولتير تملّص من أبيه وطبقته وأراد الانتماء لطبقة أعلى فغير اسمه في آخر حياته، وكذلك كارل ماركس الذي ينتمي إلى سلالة من الأحبار، تحوّل والده من اليهودية إلى النصرانية سعياً للاندماج في المجتمع، فظهر الأثر في الابن على شكل كراهية الدين عموماً، كذلك سارتر وراسل ونيتشه كلهم فقدوا آباءَهم في الصغر فأصابهم ذلك بالإحباط والسخط على الحياة، وأصبحوا من كبار منظري الإلحاد[1]، وداروين كهؤلاء، ليس استثناء من الإصابة بالمآسي، برغم أنه ليس ملحداً بل ربوبياً على الأرجح.

بعد تصاعد العلمانية اللادينية في أوروبا والعالم، فجأة صارت الاكتشافات العلمية أيضاً علمانية لا دينية! فقد اكتشف بوتون في كتاب "نظرية الأرض" (1795) قِدم عمر الأرض عكس ما يدعيه الإنجيل، (الإسلام لم يحدد عمر الأرض)، واستبدل تشارلز لايل آثار الطوفان المذكور في الكتب السماوية بطبقات الأرض مختلفة الأعمار في كتاب "مبادئ الجيولوجيا" (عام (1830، وذلك حتى قبل اكتشاف أدوات قياس عمر الطبقات! ولكن هذا لا يهم، فالإطار الفكري آنذاك هو من يقرر، ومن ثَمَّ لم يتبقَ سوى التشكيك في معضلة الخلق، وقد صارت الأرضية مهيأة للتخلص منه بفضل هذين الكتابين.

---

(1) Paul C. Vitxz - The Psychology of Atheism.

إنكار الخلق وُجد في أقدم الحضارات، (لاحظ.. أنا لم أقل إنكار أن الطبيعة خلقت بل العكس)، وهذا يثبت أن الخلق هو الأساس في كل الحضارات.

دعونا الآن "نتخيل" الكلام على لسان تشارلز داروين وكأنه يتساءل: من أين أبدأ البحث للتشكيك في الخلق، ومن ثَمَّ دخول التاريخ؟ لابد أنني سأجد ضالتي عند أول من تحدث عن أصل الحياة دون أي تدخل إلهي، مَنْ أول من ذكر أن الحياة ظهرت بشكل تلقائي؟ حسناً.. ذكرت بعض المخطوطات السومرية أن الحياة نشأت تلقائياً من اضطراب في الماء يُعرف بالكتلة البدائية: Primordial mass ثم نقلها الإغريق بعد ذلك. أيضاً الفراعنة ذكروا أن الثعابين والضفادع والديدان والفئران خرجت من الطين من مياه الفيضانات على ضفاف النيل[1]. وهو بالمناسبة نفس المصدر الذي ألهم الكاتبة البريطانية ماري شيلي لتأليف الرواية الخرافية "فرانكشتاين"، الوحش الأسطوري الذي تم "تخليقه" من أعضاء بشرية متفرقة جمعها الدكتور فرانكشتاين، ثم عرضها لتضربها الصواعق فدبت فيها الحياة!

نكمل الحوار التخيلي على لسان داروين: تماشياً مع الموجة السائدة التي تبحث عن تفسير بعيداً عن الله والخلق، تفسير خاضع للمادة والطبيعة، لن أجد أفضل من البحث والتنقيب في

(1) Paul James-Griffiths The Roots of Evolution.

الحضارات الوثنية، التي كانت بشكل أو بآخر تعبد الطبيعة وترى فيها الإله الخالق، الوثنيّة هي معتقدات وممارسات تتفق على عبادة الطبيعة وتتخذ عدة أشكال، منها وحدة الوجود "الإيمان بأن الطبيعة المادية هي الإله"، تعدد الآلهة "الإيمان بأكثر من إله"، مذهب حيوية المادة "الاعتقاد أن الأشكال المادية في العالم هي الطاقة الإلهية"، وعبادة الأصنام وتقديسها.

كانت كل الطرق تؤدي إلى شخص واحد.. أناكسيماندر (547 قبل الميلاد)، وهو ساحر وفيلسوف وثني نُسجت من حوله الأساطير، ويُعد ثاني فلاسفة الطبيعة الأيونيين)نسبة إلى أيونيا)، وأول من ذكر أن الكائنات الحية تكونت من مواد غير حية مثل الهواء والنار والماء، وأنها نشأت تلقائياً في مستنقع بدائي في الماء، ثم انتقل بعضها إلى اليابسة، وتكييف للحياة على الأرض، وأن البشرية كانت النتيجة النهائية لهذه العملية التدريجية الطبيعية[1].

يقول أناكسيماندر في قصيدته "عن الطبيعة" (بعض المصادر تقول إنها لإيمبيدوكليس): "إن أصل الإنسان سمكة!". (تذكرت دوكنز عندما قال "إن جد البشرية قبل 180 مليون سنة كان سمكة")[2].

وعندها صرخ داروين: وجدتها.. لكن ليس على طريقة نيوتن الموحد، وكأنه أكمل قائلاً: هذا ما تبحث عنه الموجة السائدة،

---

(1) Pseudo-Plutarch (V.(19

(2) Evolution and paleontology in the ancient world.

إذاً؛ فقد ظهرت الحياة من كتلة بدائية في الماء "نفس ما يطلقون عليه اليوم الحساء البدائي"، ثم تدرجت إلى كائنات بحرية.. ثم انتقلت إلى اليابسة بالتدريج.. هذا الأمر ذكرته أيضاً الوثنية الهندوسية Dashavatara، حيث تدرجت الكائنات فيما يُعرف بمنظومة من السمك إلى البرمائيات إلى الزواحف ثم الثدييات فالإنسان البدائي، (صورة قريبة من النايندرتال)، وحتى وصلت إلى الإنسان الحديث[1].

ولم لا..؟ (نواصل الكلام على لسان داروين).. ها نحن نشاهد الذباب ينشأ من بقايا اللحم الفاسد، والفئران تنشأ من مخازن القمح والشعير، (هذا السخف كان سائداً زمن داروين فيما يعرف بالتولد التلقائي، والذي نسفه باستير بإثبات أن الحياة لا تنشأ إلا من حياة). إذاً، فمن باب أولى أن تخرج البرمائيات من الأسماك والزواحف تتدرج إلى طيور، كذلك الإنسان فهو في نهاية الأمر مجرد حيوان من الثدييات.

"الرجل لم يكن يملك أدنى فكرة عن "الدي أن إيه" أو الحدود الوراثية وعالم الخلية المعجز، والذي شبّهه مايكل بيهي بصندوق داروين الأسود في إشارة إلى جهله التام بأسرار الخلية. صياغة داروين لنظرية عن أصل الكائنات مع جهله بالتعقيد الهائل للخلية

(1) Suresh Chandra (1998 (Encyclopaedia of Hindu Gods and Goddesses. Sarup & Sons. p. 298. ISBN 978-81-7625-039-9.

والمعلومات الوراثية تُشبه صياغة نظرية عن آلية صناعة الأقمار الصناعية مع الجهل التام بالخلايا الضوئية وبرامج الحاسب وقوانين الفيزياء"!

أما مبدأ الصراع بين هذه الكائنات فسآخذه من عالم الاجتماع هربرت سبنسر، الرجل الذي طالما كنت من أشد معجبيه، وبدلاً من جعل الصراع مقتصراً على طبقات المجتمع، سأعمم هذا المبدأ على الطبيعة. كذلك دو كندول (عالم نبات سويسري توفي عام 1841)، الذي كتب ورقة علمية بعنوان "الأصناف المتحاربة"، وكانت تتحدث عن النباتات والنضال في الحياة البرية، وكيف أن الحيوانات دائماً ما تتكاثر ولديها ما يكفيها من الموارد المتاحة، كما أن التنوع المتاح للمخلوقات الحية يجعل ذلك أفضل لها في البقاء على قيد الحياة، وهذا التنوع تنقلهُ إلى صغارها، بينما عدم التنوع يؤدي إلى اختفائها وانقراضها.

حسناً.. سآخذ الفكرة نفسها وأطلق عليها اسم "الاصطفاء الطبيعي"، كذلك سأجعل العملية عشوائية تماماً ولا تتطلب وجود خالق أو حكمة كما فعل الفيلسوف الوثني إمبيدوكليس (490-430)، عندما قال: "الجزء الأعظم من أعضاء الحيوانات جاء بعملية عشوائية"[1].

(1) Stanford Encyclopedia of Philosophy Empedocles First published Fri Mar 4, 2005; substantive revision Tue Sep 11, 2012.

أما مفهوم شجرة الحياة، فهو موجود في عدة حضارات قديمة مثل شجرة العالم في أساطير بلاد فارس القديمة، وكذلك شجرة "الكابالا" في التراث اليهودي. ومع أن الأخيرة لا تذكر العلاقة بين الكائنات الحية، إلا أني سآخذ منها فكرة تدرج الأرواح وارتباطها، وأستبدلُ ذلك بتدرج الكائنات الحية وارتباطها. الآن صرت أملك ما تحتاجه الموجة المعادية للدين والتي بدأها جدي ارسيموس داروين عام 1794 بكتاب "زونوميا". نظرية مادية بحتة , تستبعد الحاجة للخالق , بقي أن أسافر وأبحث في الطبيعة وأسجل البيانات , ثم أنتقي منها مايناسب النظرية.

نعود إلى أناكسيماندر، عندما قال ما سبق الإشارة إليه، هل كان ذلك نتيجة للتجربة والبحث العلمي؟ الإجابة قطعاً هي لا، هو لم يكن يعلم أي شيء عن الأحافير أو الخلية والصفات الوراثية وعقبة الحوض الجيني، وعليه فلا يوجد سوى استنتاج واحد: أناكسيماندر كان لديه التزام مسبق بالتفسير المادي بالضبط مثل داروين وعلماء الداروينية.

إذ يقول الدكتور تيد سكوت (مجلة Nature / العدد: 410): "حتى لو أشارت البيانات إلى تصميم ذكي، فإنها تُستبعد لأنها لا توافق التفسير المادي". ويعترف بهذا الالتزام المادي ريتشارد ليونتين "بلايين وبلايين الشياطين" (1997/ ص: 31) قائلاً: "لدينا التزام أدبي بالمادية، بمعنى آخر، لن نسمح بوجود تفسير خلقي على عتبة الباب"، وهذه مغالطة منطقية تُدعى "المصادرة

على المطلوب إثباته"، فهم يضعون التفسير المادي كمقدمة، ومن ثَمّ، فمن الطبيعي أن تكون النتيجة متوافقة معه!

قد يكون هذا الالتزام المسبق بالتفسير المادي "بغض النظر عن الأدلة والبيانات" هو السبب الرئيسي في ظهور بعض التفاسير السخيفة والمضحكة من وقت لآخر على لسان بعض علماء التطور الملحدين، مثل قول ايوجين سكوت (عضو أكاديمية العلوم والمدافعة الشرسة عن الداروينية) في كتاب "التطور ضد الخلق، مقدمة" (ص26 :): "أصل الحياة لم يكن حدثاً واحداً، بل عدة أحداث متسلسلة قامت ببناء هيكل، في أوله لا توجد حياة وفي آخره حياة، مع الكثير من الأشياء غير المحددة بينهما". وهذا تسبَّب في السخرية منها وتسمية هذا التخريف المضحك بنظرية: Iffy Stuff، أو مثل جملة دوكنز الشهيرة: "التطور قابل للملاحظة، لكن ليس أثناء حدوثه".

أحد الأدلة الدامغة التي تُثبت أن العلماء الملحدين ينقلون حرفياً من الخرافات الوثنية البدائية هو ترويجهم لخرافة الأكوان اللانهائية التي نقلوها أيضاً من أناكسيماندر[1]! لذلك فإذا أردتَ معرفة الخزعبلات القادمة التي سيروجون لها فابحث في الخرافات الوثنية.

من المعيب أن المجتمع العلمي اليوم مع كل ما يمتلكه من التقدم العلمي والتكنولوجي لا يزال يسير على نفس العلوم الوثنية الموغلة في البدائية والقدم، والتي لا تستند إلى أي إثبات علمي..

---

(1) Simplicius, Commentary on Aristotle's Physics, 1121, 5-9.

لاحظ التطابق:

الوثنية	الداروينية
التولد التلقائي	التطور الكيميائي
الكتلة البدائية	الحساء البدائي
كائنات اليابسة خرجت من الماء	كل الكائنات لها سلف عاش في الماء
شجرة العالم الفارسية	شجرة الحياة

قد يكون ما جاء في هذا الفصل هو ما جعل إيمانويل فيلكوفسكي (مؤلف العديد من الكتب المختصة بالتاريخ القديم) يقول: "بعد أن قمت بجهد كبير لدراسة داروين، أستطيع أن أقول إنه لم يصُغْ نظريته من الطبيعة، بل صاغها من خلال رؤية فلسفية مادية بحتة، ثم قضى 20 سنة لجمع ما يجعلها ممكنة"[1]. كل ما سبق يُلقي بظلال الشك في كون داروين قد وضع نظريته من خلال الملاحظة والتجربة والاختبار، إذ يبدو أن كل ما فعله هو أنه بالفعل قد بحث عمّا ينفي الخلق تماشياً مع الموجة السائدة آنذاك، فوجد ضالته في الأساطير والخرافات الوثنية البدائية التي لا تقوم على أي مستند علمي، ثم قام بجمعها وأخرجها على طريقة أناكسيماندر في "السلف المشترك"، وروبرت مالتوس في "الصراع"، ودو كندول في "بقاء الصفات المفضلة"، وإيمبيدوكليس

(1) Worlds in Collision.

في "المادية العشوائية"، ثم قام بإعادة صياغتها وطبع اسمه على الغلاف، وعليه يجب تغيير اسم الكتاب من: "أصل الكائنات "بمعنى (الاصطفاء الطبيعي) إلى "أصل الخرافات" بمعنى (اصطفاء الوثنيات).

حصان طروادة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناسُ، إنَّ ربَّكم واحدٌ، وإنَّ أباكم واحدٌ، ألا لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأحمرَ على أسودَ، ولا لأسودَ على أحمرَ إلا بالتقوى. إنَّ أكرمَكم عند اللهِ أتقاكُم، ألا هل بلَّغتُ؟ قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ قال: فليبلغ الشاهدُ الغائبَ"[1].

تروي الأسطورة أن حصار الإغريق لمدينة طروادة دام عشر سنوات لم يتمكنوا خلالها من دخول المدينة المحصنة، فابتدعوا حيلة لكسر الحصار ودخول المدينة حين تظاهر الجيش بالانسحاب بعد أن قاموا ببناء حصان خشبي عملاق جميل المنظر.. اختبأ بداخله عدد كبير من المحاربين الإغريق، وقاموا بإقناع أهالي طروادة بأن الحصان عرض سلام بين الطرفين، اقتنع الطرواديون بالحيلة وأدخلوا الحصان إلى مدينتهم برغم تحذيرات البعض.. في المساء والناس نيام خرج المحاربون الإغريق من الحصان وقاموا بفتح بوابة المدينة للجيش الإغريقي، وحل الدمار بمدينة طروادة. أتذكر هذه الأسطورة كلما رأيتُ من يريد إدخال نظرية التطور إلى حصن المجتمع الإسلامي. تبدو النظرية على هيئة علم، أو عرض بالتقدم والازدهار، لكنها مثل حصان طروادة تحمل بداخلها الموت والدمار، ليس موت

(1) الألباني في السلسلة الصحيحة: إسناده صحيح.

الأمانة العلمية فقط (كما وضحتُ في فصل "متلازمة داروين")، بل وحتى موت الأخلاق والقيمة الموضوعية للإنسان، هي مثل حصان طروادة تبدو جميلة ومسالمة، لكنها في الحقيقة تعد أخطر فلسفة عرفتها البشرية طوال تاريخها.

تقول ماري مدجلي (أستاذة الفلسفة في جامعة نيوكاسل سابقاً): "نظرية التطور هي خرافة الخلق الخاصة بالعصر الحديث، عندما تخبرنا عن أصولنا فأنت تشكل نظرتنا لأنفسنا. إنها لا تؤثر في أفكارنا فقط، بل حتى في مشاعرنا وأفعالنا بصورة أكبر بكثير من كونها مجرد نظرية في علم الأحياء"[1].

فكر في الجملة التالية المأخوذة من أحد كتب الأحياء المدرسية للمرحلة الابتدائية في أمريكا: "أنت حيوان ولديك صفات مشتركة مع دودة الأرض"[2]. ثم اسأل نفسك: هل يوجد خطأ عندما يقوم الأسد بافتراس غزال؟ وهل تعتبر هذا الفعل شريراً؟ الإجابة قطعاً هي لا.. لماذا؟ لأن الحيوان ليس لديه وعي وتمييز بين الخير والشر، ولا يفرق بين الخطأ والصواب، نحن الكائن الوحيد الذي يستطيع التمييز بين الخطأ والصواب، الخير والشر.. لكن عندما تصبح لدينا نظرية التطور، وتنتشر معها ثقافة نسبية

(1) Midgley, Mary [former Senior Lecturer in Philosophy, University of Newcastle upon Tyne, UK "The Religion of Evolution," in Durant J., ed., "Darwinism and Divinity: Essays on Evolution and Religious Belief," Basil Blackwell: Oxford UK, 1985, p.154.

(2) Holt Biology 1994.

الأخلاق، وأننا مجرد حيوانات، فإن هذا التمييز يأفل بالتدريج ويفقد موضوعيته، ونتحول معه إلى كائنات تسعى للبقاء بأي ثمن وتعيش وفق قوانينها الخاصة.

عندما يشار لكتاب "أصل الأنواع"، هناك جانب مهم في العنوان يتم التغاضي عنه غالباً، هذا العنوان هو: "صراع الأعراق المفضلة". باستنتاج منطقي بسيط، فإن وجود أعراق مفضلة يعني وجود أخرى دونية، أليس كذلك؟ وكعادتهم في توجيه الاتهامات لكل من يخالفهم، سيقولون إني جاهل لا أفهم، وإن داروين لا يقصد ذلك من الناحية العنصرية، بل يقصد الأعراق المفضلة للبقاء. لا بأس.. سنجعل داروين نفسه هو الحكم بيننا، يقول داروين: "في المستقبل القريب ستقوم الأجناس البشرية الأكثر تقدماً بإبادة الأجناس البدائية والحلول بدلاً عنها، سينتهي القردة البشريون Anthropomorphous Apes للأبد، وهذا مما لا شك فيه. سيحدث صراع بين الأجناس المتطورة وبعض القردة العليا والذين يعبر عنهم حالياً بالسود وسكان أستراليا الحاليين والغوريلات"(1).

هل ما زلت تبرر المقصد من وراء العنوان؟ إذاً أكمل القراءة، اعترف بهذا التأثير العرقي العنصري إحدى أيقونات الداروينية

---

(1) Charles Darwin, The Descent of Man, 2nd edition, New York, A L. Burt Co., 1874, p. 178.

الجديدة ستيفن جاي قولد حين قال: "الجدل حول الفارق العرقي كان موجوداً منذ فترة طويلة، لكنه تضاعف بشكل كبير بعد تقبل نظرية التطور"[1].

يؤكد المعنى العنصري للمفردة السابقة توماس هكسلي الشهير بكلب داروين: "لا يوجد رجل عاقل يزعم أن الزنجي مساوٍ للرجل الأبيض"[2]. ثم يشرح عالم الأنثروبولوجيا الهندي لليتا فيديارثي كيف فُرضت النظرية "العنصرية" على العلوم الاجتماعية عندما قال: "نظرية داروين (البقاء للأصلح) وجدت ترحيباً شديداً في هذا العصر من قبل العلماء الاجتماعيين، واعتقدوا أن البشرية قد حقّقت مستويات متنوعة من التطور تجلت بحضارة الرجل الأبيض، وفي النّصف الثاني من القرن التاسع عشر قُبلت العنصرية كحقيقة عن طريق الأغلبية العظمى للعلماء الغربيين"[3]. فهل ما زلت مستمراً في التبرير لمعنى المفردة واتهامي بالجهل؟!

النظرية لها مفعول عجيب في إذكاء العنصرية وتدمير الأخلاق، لم يسلم منه حتى بعض أصحاب الأديان! فهذا القس تشارلز كنقسلي (1819 – 1875) يؤكد ما سبق قائلاً: "السود فيأستراليا مثل السود في إفريقيا، لا يمكن إطلاعهم على تعاليم الإنجيل". ويقول أيضاً: "الأعراق المتوحشة التي على شكل إنسان

---

(1) أونتوجني آند بيلوجوني ص127.

(2) Morris, Henry M. 1973. Evolution and modern racism. Impact 7.

(3) Lalita Prasad Vidyarthi, Racism, Science and Pseudo-Science, Unesco, France, Vendôme, 1983. s. 54.

يجب أن تُمحى من على وجه الأرض"[1]. (البحث عن سيرة الرجل وستجده أحد المتعصبين لنظرية التطور والداعين إليها).

أما أرنست هيجل المزور الشهير فيقول: "القدرات العقلية للأعراق المتوحشة مثل سكان أستراليا الأصليين (الأبروجينز) أعلى بقليل من بقية الثدييات، وهذا يجعلنا نضع معايير مختلفة لقيمة حياتهم"[2].

ما سبق أدى لظهور فيروس اسمه "الداروينية الاجتماعية"، يهاجم خلايا الضمير ويدمرها بالكامل، حيث تصاعدت وتيرة المذابح والتهجير القصري للأبروجينز (وهم سكان أستراليا الأصليون) بعد عام 1859، أي بعد ظهور نظرية التطور بسنوات قليلة. وبسبب ضخامة فك (الأبروجينز) تصور الأوروبيون أنهم أقل درجة في سلم التطور من الرجل الأبيض، وأكثر قرباً للسلف الحيواني، فبدأت المأساة، كان الأوروبيون في أستراليا يطلقون على (الأبروجينز) لقب: Specimen وهو المصطلح الذي يعني (كائن حيواني) يتم اصطياده أو القبض عليه لأغراض علمية.

إحدى القصص المروعة يرويها كوراه ويلز (عمدة مكاي) في (1876-1877)، حيث ذكر أنه كان شاهد عيان على مذبحة قبيلة صغيرة تتكون من 45 فرداً، رجالاً ونساء وأطفالاً، حيث تم

---

(1) Kingsley, C., Sermons on National Subjects, Sermon XLI, Macmillan & Co., pp. 414–17, 1880, cited in Ref. 12.

(2) عجائب الحياة - ص56.

قتلهم على طريقة الصيد، ثم انتقاء أفضل 10 جماجم في المجموعة بهدف عرضها في متاحف أوروبا كدليل على التطور. أكثر من 10 آلاف جمجمة تم شحنها من أستراليا في المراكب المتوجهة للغرب[1].

أيضاً جيمس برنارد (رئيس وزراء تسامانيا / إحدى جزر أستراليا. 1890)، اعترف صراحة بهذا التأثير حين قال: "عملية إبادة السكان الأصليين جرت طبقاً لقانون النشوء والارتقاء والبقاء للأصلح"[2].

ومن أكثر الصور بشاعة في المشهد الداروني، هوراشيو جوردون روبلي، وهو ضابط في الجيش البريطاني كان مهووساً بعلم الأجناس والأعراق البشرية، خدم في نيوزيلندا خلال الحرب عام 1860، وقد التقطت له صورة عام 1895 وخلفه مجموعة من الرؤوس المقطوعة لأشخاص ينتمون لشعب الماوري (أحد شعوب السكان الأصليين لنيوزيلندا)، حيث كان يتم بيع الجماجم آنذاك حتى إنها صارت تجارة رائجة يطلق عليها اسم "موكاموكاي".. رفضت حكومة نيوزيلندا شراء هذه الجماجم من هوارشيو، فقام ببيعها إلى المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي[3]

يمتد التأثير المدمر لنظرية التطور في مجالات أخرى، حيث أسهمت في فتح المجال واسعاً للمختل فرويد ونظرياته المريضة

---

(1) Darwin's Bodysnatchers by Carl Wieland.

(2) Imagined destinies: Aboriginal Australians and the doomed race theory, 1880-1939 / Russell McGregor,p15.

(3) The trade in preserved Maori heads". The Sunday Star-Times. Retrieved 25 October 2011.

حول الشهوانية الجنسية والبهيمية، كذلك برجسون والروحية الحديثة، سارتر والوجودية، ماركس والشيوعية، ثم الفاشية والنازية، بل وحتى في مجال الطب تسببت النظرية في العديد من الكوارث الإنسانية، فمثلاً تسببَّت النظرية بشكل مباشر في ابتكار فرانسس قالتون (ابن عم تشارلز داروين) مبدأ تحسين النسل، وذلك في مقالة بعنوان "الموهبة الوراثية والطبع" (صدرت عام 1865)، أي بعد نشر كتاب "أصل الأنواع" بست سنوات فقط.

حظي تحسين النسل بشعبية واسعة في النصف الأول من القرن الـ20، إلا أن ارتباطه بجرائم النازية والتصفيات العرقية والتجارب المريعة التي أجريت على البشر في اليابان والاتحاد السوفييتي قد أسهم في تدهور سمعته، فصار متروكاً حتى عاد مرة أخرى مع بداية الألفية، ولا أعلم هل هي مصادفة أن تكون هذه العودة مع بداية ظهور الإلحاد الجديد!

ذكرت مجلة "ديسكفر" (سبتمبر 2003 / ص: 77): "هذا المبدأ تسبب في إصدار قوانين في أمريكا تسمح للأطباء بإعطاء أدوية تسبب العقم لأشخاص يعتقد أن نسلهم سيكون ضعيفاً أو غير مرغوب فيه، والنتيجة كانت التسبب في عقم 60 ألف رجل أسود. وقد شارك الكثير من الأطباء والعلماء الأمريكيين في هذا الدور المخزي". وأكملت المجلة: "هذا الأمر هو الذي ألهم هتلر القيام بنفس الدور في عهد النازية".

وهل نسيت البشرية إحدى أبشع الروايات التي تحول فيها الإنسان إلى "طريدة حيوانية" لأخيه الإنسان؟ تقول الرواية الموثقة إنه بعد أن دمرت قوى الاستعمار قرية صغيرة في الكونجو وأبادت كل سكانها، بقي أوتا بينغا (الشاب ذو الـ 22 عاماً) والذي أخذوه كأسير، وكان في تلك الفترة قد وصل المبشر والتاجر الأمريكي صامويل فيرنر إلى المنطقة لمهمة خاصة تتجرد من كل معاني الرحمة والإنسانية، تتمثل في جلب أقزام أفارقة يشبهون القردة ليتم عرضهم على الناس في أمريكا كإثبات على صحة نظرية داروين. رأى صامويل في أوتا بينغا ضالته المنشودة، فقد كان بينغا قصير القامة (يصل طوله إلى أقل من متر ونصف المتر).. اقترب صامويل منه وفتح فمه ليرى أسنانه، ثم سأل: بكم هذا؟ وبعد أخذ ورد اشتراه مقابل حفنة من الملح ملفوفة في خرقة بالية.. قُيد أوتا بينغا بالسلاسل، وقدمه علماء التطور في معرض سانت لويس العالمي عام 1904 بوصفه الحلقة الانتقالية بين الإنسان والقردة، ثم نقلوه بعد عامين إلى حديقة الحيوانات في "برونكس نيويورك"، حيث تم حبسه مع القردة في قفص واحد. لقد كانت هذه الجريمة مصدر فخر لمدير الحديقة آنذاك ويليام هورناداي، الذي ألقى خطبة طويلة يعبر فيها عن مدى فخره بوجود هذا الشكل الانتقالي الفريد من نوعه في حديقته، وعامل

أوتا بينغا المحبوس في القفص كأنه حيوان حتى وجدوه منتحراً في قفصه عام 1914م[1].

هذه المأساة ليست الوحيدة، ولكنها قد تكون الأكثر شهرة، إذ كانوا يعرضون الأفارقة رجالاً ونساء وأطفالاً في حدائق الحيوان بأمريكا وأوروبا فيما كان يُعرف بحدائق الحيوان البشرية، والسبب لا يخرج عن إطار الداروينية، ولم يتوقف ذلك إلا في منتصف القرن الماضي.. نعم الداروينية، هذه الفلسفة الحيوانية العدمية التي إذا تمكنت منك فإنها تحولك بالتدريج إلى مسخ بشري يتجرد من كافة القيم الإنسانية. ألم أخبركم بأن النظرية لها مفعول عجيب في هدم كل القيم والمبادئ! هي مثل الوحش المائي الذي لا يستطيع المواجهة على اليابسة، فيستدرجك حتى تدخل إلى الماء، ثم يأخذك معه بعيداً إلى الأعماق السحيقة.

يبدو الإلحاد الجديد وكأنه دين مصنوع خصيصاً لإثبات سيادة العرق الأبيض وتفوقه، فقد وصفت "نيويورك تايمز" أكبر اجتماع أقيم للمنظمات الإلحادية حول العالم في أمريكا بأنه "ذكوري

(1) Laurent, Darrel (2005-05-29). "Demeaned in Life, Forgotten in Death". The Lynchburg News & Advance. Retrieved)2006-04-03"(Caged in the human zoo: The shocking story of the young pygmy warrior put on show in a monkey house - and how he fuelled Hitler's twisted beliefs". Dailymail.)31 October 2009.(Retrieved 23 May2014. Keller, Mitch (August 6 - 2006)."The Scandal at the Zook, The New York Times.

أبيض"[1]. كما أظهرت إحدى الدراسات وجود فوارق عرقية كبيرة في أوساط الملاحدة بأمريكا (3 % من العرق الإفريقي، 6 % من العرق الإسباني، 4 % آسيويون، بمقابل 82 % من العرق الأبيض)[2]. وبما أن نظرية التطور تعني "التحسن"، وكما نعلم جميعاً، فإن أول ظهور للإنسان المعاصر كان في إفريقيا، ثم تطور إلى أن ظهر الإنسان الأبيض في القوقاز، فهذا يعني أن العرق الأبيض هو الأكثر تقدماً على سلم التطور!

حركة حق البديل (Alt-right) التي نشأت عام 2010 في أمريكا على يد الملحد ريتشارد سبنسر ما هي إلا امتداد جديد لنفس الوهم الداروني بتفوق العرق الأبيض فيما يُعرف بسيادة البيض[3]. أتظنها صدفة ألا يوجد أي شخص من "عرق ملون" يتقلد منصباً مهماً أو رفيعاً في أي من المنظمات الإلحادية / اللاأدرية / الإنسانية الشهيرة؟![4]

العنصرية الداروينية متأصلة في جذور المجتمعات الأوروبية، ومن الأمثلة المعاصرة ما تعرض له لاعب كرة القدم الإيطالي (من

---

(1) New york times - 16 October 2010.

(2) BloombergView - 27) March 2015(- Atheism gap.

(3) Daniszewski, John (November 26, (2016 "Writing about the 'alt-right". Benac, Nancy (August 24, 2016) "Clinton sees Trump ties to "alt-right" dystopian ideology". Associated Press.

(4) بي بي سي - (21 يناير/ 2017).

جذور غينية) بالوتيللي من انتهاكات عنصرية في فرنسا، وقبل ذلك في إنجلترا حين كان يلعب لفريق ليفربول، الأمر الذي أكدته منظمة "كيك إت آوت" المعنية بمناهضة العنصرية في كرة القدم، يقول بالوتيللي إنه خلال موسم 2015 - 2014 تلقى أكثر من 4 آلاف رسالة عنصرية على حسابه في "تويتر"، كما ذكر أن الجماهير تعمدوا في أكثر من مناسبة إهانته من خلال تقليدهم لأصوات القرود في أثناء سير المباريات[1].

يقول هنري موريس في كتابه الرائع "الحرب الطويلة على الله": "تتضح الطبيعة الإلحادية لهذه النظرية في العقائد الاجتماعية الهدامة التي أفرزتها، فنيتشه وماركس، وكلاهما ملحد، تأثرا بأفكار داروين عن الاصطفاء الطبيعي والبقاء للأصلح، فقد أدخلا في المجالات الفلسفية والاجتماعية والتربوية ما فعله داروين في البيولوجيا: عن ماركس ورث العالم الشيوعية ورفض وجود الخالق، أما نيتشه فقد أثر بعمق في اتجاهات السياسة الألمانية حتى أصبحت أساس فلسفة القوة الحربية الألمانية المكثفة التي حشدتها في فترة الثلاثينيات من القرن الـ20 ، وكانت سبباً من أسباب الحرب العالمية الثانية، وكان موسوليني واحداً من أكبر المتابعين المتحمسين لنيشته، وكانت الفاشية هي النتيجة النهائية، كذلك وُلدت النازية في نفس البالوعة".

---

(1) Atheism and social justice: Sikivu Hutchinson on the first People of Color Beyond Faith conference, Chris Stedman, Religious Service News, Oct 9, 2014.

بقي أن نسأل: هل قبول نظرية التطور لا بد أن يتسبب فيما سبق؟ للإنصاف، الإجابة هي لا، ولكن كل ما أريد إيصاله هو أن النظرية تعطي المبرر العلمي لارتكاب مثل هذه الفظائع، فنظرية التطور مثل الإلحاد، أشبههما بمرض الإيدز، هناك حامل للفيروس دون أن تظهر عليه الأعراض، وآخر لا تظهر عليه برغم أن كلاهما مصاب به، بل وحتى مرض الإيدز الذي تفشى في المجتمعات الغربية بسبب الشذوذ والزنا نتيجة لانتشار الفلسفة المادية العدمية والخواء الروحي، فإن السبب في هذا المرض القاتل هم الأفارقة[1]! هذا بالرغم من أن أول تسجيل لظهور الفيروس كان عام 1981 في الولايات المتحدة بعد اكتشافه في خمسة رجال من الشاذين جنسياً[2]. وهذا تأكيداً على استمرار نفس "النظرة العرقية الدونية"، لكن بشكل أكثر حيلة وخبثاً!

أما الإسلام، فيعطي صورة مختلفة تماماً، يقول مالكوم أكس: "على الأمريكيين أن يفهموا الإسلام جيداً، لأن هذا هو الدين الذي نجح في استئصال العنصرية من المجتمع"[3].

أخي المسلم، أختي المسلمة، اِحذرا ثم اِحذرا أن تكونا من المساهمين في إدخال "حصان طروادة" إلى حصن المجتمع الإسلامي.

---

(1) الإيدز بدأ رحلته من كنشاسا في العشرينيات من القرن الماضي - BBC.

(2) Gottlieb MS (2006). -Pneumocystis pneumonia-Los Angeles. (1981).

(3) Daily new quotes

كعب أخيل

"كلما خضعت للأخلاق تخضع لله، حتى لو كنت ملحداً"[1].
اثنان يهزم فيهما الإلحاد دائماً: الأخلاق والضبط الدقيق لقوانين الكون fine tuning of the universe، فهما بمثابة كعب أخيل ونقطة الضعف التي يُغتال منها الإلحاد.
تماشياً مع مضمون الكتاب سأتطرق للأولى، وأعني الأخلاق، لكن قبل أن نبدأ يجب التشديد على أن هذا الجزء لا يعني أن الملحد لا يملك أخلاقاً، أو أنه سيقترف كل أنواع المعاصي! بالتأكيد يوجد ملحد خلوق، ويوجد مسلم غير خلوق، لكن لا توجد أخلاق للإلحاد، بينما لا يوجد إسلام بلا أخلاق، يقول ابن القيم رحمه الله: "الدين كله خلق، فمن فاقك في الخلق فقد فاقك في الدين".
الإلحاد كرؤية عالمية لا يملك منظومة أخلاق، ولا يوجد فيه معايير أخلاقية ثابتة، لذلك فهو عندما يهاجم أخلاق الدين، فإنما يستعير من هذه الأخلاق ليُهاجمها، وهي من المفارقات العجيبة التي لا يدركها الكثير من عوام الملاحدة! لست هنا لأحجر على تفكيرك أو قناعاتك، من حقك أن ترى أن حياتك لها غاية، وأن تعامل

(1) Peter Kreeft - professor of philosophy at Prager University, Boston College. Dailywire JANUARY 26, 2016.

الناس بشكل جيد، بل وأن تمارس خلقاً غير موجود في أدبيات الإلحاد اسمه "العفة"، كل ما أقوله هو أن الإلحاد كرؤية لا يملك مرجعية أخلاقية، وأن لذلك عواقب وخيمة على الفرد ومن ثَمَّ على المجتمع، هذا كل ما في الأمر.

من وجهة نظر الإلحاد، فإن المشرع الذي ارتضاه المجتمع هو من يحدد الخطأ من الصواب، جيد.. لكن عندها سوف نسأل: أي مشرع تقصد وأي مجتمع؟ إذا كان هذا صحيحاً، فستالين لم يكن مخطئاً عندما أباد الملايين، بل إن ما فعله هو عين الصواب.. كيف لا وهو على رأس المجتمع والمشرع برضاه؟ من هنا نلمح ضوء الانفجار الكوارثي من بعيد قبل أن نذهب للاطلاع على أثره المدمر.

المجتمع الأمريكي الذي يحارب العنصرية الآن على الأقل في الظاهر هو نفسه الذي كان يخرج من المطعم عندما يدخل إليه شخص أسود، إذاً ما الذي حدث؟ الإجابة بسيطة جداً، المشرع منع العنصرية، ومع الوقت تقبَّل المجتمع ذلك. وباستنتاج عقلي بسيط نستطيع أن نقول إن هذه العنصرية يمكن أن تعود ويقبلها المجتمع مع الوقت إذا ما أقر المشرع بذلك، هذا ما أعنيه عندما قلت: معيار أخلاقي نسبي، بينما في المقابل نجد الإسلام يحرم العنصرية بشكل قاطع لا هوادة فيه، العنصرية حرام بأمر مقدس لا يمكن المساس به أو تغييره بتغيير الظروف أو الزمان والمكان، وهذا مثال على المعيار الأخلاقي الثابت أو الموضوعي.

في مناظرة بين فرانك توراك وديفيد سلفرمان (رئيس منظمة الملحدين) بأمريكا، قال الأخير: "من غير الأخلاقي أن نمنع

ثنائياً مثلياً (شاذ جنسياً) من تبني طفل يتيم"،[1] ثم عاد لينكر وجود الأخلاق الموضوعية أو الثابتة ويؤكد أن الأخلاق نسبية.

هل لاحظت التناقض؟ إذا لم تفعل فسأوضح لك الصورة بنقل جزء مهم من المناظرة بين فرانك توراك وديفيد سلفرمان:

توراك: كنت أعتقد أنك لا تؤمن بثبات الأخلاق عندما قلت إنه من غير الأخلاقي أن نمنع ثنائياً مثلياً من تبني طفل يتيم، هل هذا خطأ أخلاقي موضوعي (ثابت) أم أنك لا تحب ذلك فقط؟

سلفرمان: لا.. أنا قلت لا توجد أخلاق موضوعية.. كل الأخلاق نسبية.

توراك: جيد.. بما أن الأخلاق نسبية، فلماذا ترى أن المنع فعل غير أخلاقي؟

سلفرمان: حسناً.. نحن لدينا الحق في الاعتراض.. لا يوجد خطأ في أن أختار بنفسي ما يناسبني.. هذا اختياري بعيداً عن أي كتاب مقدس أو تعليمات، أنا حر في اختيار أخلاقي.

توراك: بناء على أي معايير؟ معاييرك الخاصة؟

سلفرمان: نعم، بناء على معاييري الخاصة.

توراك: إذاً، فهل أنت تحكم على أي شخص آخر له اختيار غير اختيارك بأنه مخطئ؟

سلفرمان: لا.. أنا أقول إنه يجب أن يتحمل كلٌّ منا مسؤولية أحكامه الأخلاقية.. نتفق أو نختلف عليها.. أنا وأنت مثلاً نتفق على أنه لا يجب أن نقتل الشاذ لأن هذا خطأ.

(1) frank turek vs david silverman Apr 2-13.

توراك: سيد سلفرمان.. أنت تخلط بين الاختيار والأخلاق الثابتة الموضوعية.. هل تقول إنه لا توجد معايير أخلاقية ثابتة؟ أم تقول إن هناك معايير ثابتة خارج الاختيار البشري يجب أن نحتكم إليها دائماً؟

سلفرمان: نعم لا توجد معايير ثابتة.. نحن مسؤولون عن اختياراتنا.

توراك: أمام من؟

سلفرمان: أمام أنفسنا ومجتمعنا.

توراك: مجتمع هتلر أم مجتمع الأم تريزا؟

سلفرمان: المجتمع الذي نعيش فيه.. نعم، نعم، أعترف.. هذا سؤال تصعب إجابته.

توراك: إذاً، فنحن لا نملك أن نخطئ هتلر في عهد النازية!

سلفرمان: نحن كمجتمع عالمي نحاكم المجرمين وفق ما نراه مناسباً.

توراك: لكن هذا يبقى مجرد رأي.

سلفرمان: نعم صحيح.

توراك: إذاً بما أنه مجرد رأي، فعندما يمنع المتدين الشواذ من تبني طفل يتيم، فمن حقه أن يحكم بأنهم مخطئون.

سلفرمان: نعم لديه الحق في اتخاذ هذا الموقف، أنا أقول فقط إنه غير أخلاقي.

توراك: بناء على أي معايير؟

سلفرمان: بناء على معاييري أنا.

توراك: حسناً.. هذه معايير ديفيد سلفرمان فقط.

سلفرمان: لا.. لدينا أيضاً حق للمجتمع.
توراك: بناء عليك؟
سلفرمان: لا، بناء على الحكومة التي أوجدناها.
توراك: حسناً.. هذا يؤكد أننا لا نستطيع تخطئة النازية.
سلفرمان (بنبرة حادة): الإجابة الصعبة هي أن كلامك صحيح.. الإجابة الصعبة هي أن المسألة تبقى مجرد رأي.. الإجابة الصعبة هي أنهم كانوا يعتقدون أنهم يقومون بعمل جيد.. لا توجد معايير ثابتة.

* * *

هل تأكدت الآن أن الإلحاد معاق أخلاقياً؟ لهذا فعندما يهاجم الملحد أخلاق الإسلام، فلا تضيع وقتك في الدفاع والتبرير، بل أُطلبْ منه أن يثبت أن هذه الأخلاق التي يهاجمها خطأ من منظور الإلحاد، عندها سيكتشف أن قدميه في الوحل.
عموماً دعونا نواصل الآن، أولاً.. يجب أن نميز بين القيم الأخلاقية والواجبات الأخلاقية.. وهل يوجد بينهما فارق؟ بالطبع.. القيم الأخلاقية تختص بما هو جيد أو سيّئ، بينما الواجبات الأخلاقية تختص بما هو خطأ أو صواب. نوضح بشكل أكبر: قد أفعل شيئاً جيداً بالنسبة لي، كأن أصبح طبيباً مثلاً، فهذه قيمي الخاصة.. لكنها قد تكون خاطئة إذا لم ألتزم بأخلاق المهنة وسببت الضرر للآخرين، فهذا ما يفرضه الواجب الأخلاقي بغض النظر عن قيمي الخاصة.
مثال آخر: سيكون من الجيد أن أكون "بروفيسور" في علم الأحياء التطورية، وأدعم التطور لأترقى وأحصل على الدعم والمال

والشهرة، فهذه قيمي الخاصة، لكن هذا خطأ أخلاقي لأني أتبنى أيديولوجية دوغمائية وأخدع الطلبة باسم العلم، فهذا ما يقوله الواجب الأخلاقي بغض النظر عن قيمي الخاصة.

ثانياً، يجب التمييز بين الأخلاق الموضوعية (الثابتة) والأخلاق الذاتية (النسبية)، الأولى تعني أن الفعل خطأ في موضوعه بغض النظر عن رأي الآخرين، والثانية تعني أنه صواب في ذاته بغض النظر عن رأي الآخرين، مثلاً: الهولدمور (مجاعة أوكرانيا التي أبادت ملايين البشر) كانت خطأً موضوعياً، لكن ستالين يراها صواباً ذاتياً لأنها تحقق أهدافه الأيديولوجية، من هنا نتوصل إلى أن القيم الأخلاقية ذاتية ونسبية، بينما الواجبات الأخلاقية موضوعية وثابتة، أعتقد أننا لا نختلف فيما سبق.

الآن، وبعد أن اتضح الفارق، سوف نتطرق إلى إثبات منطقي على الوجود الإلهي اسمه: The Moral Argument Based upon Moral Values and Duties " الحجة الأخلاقية بناءً على القيم والواجبات الأخلاقية"، والذي تأسس على يد الفيلسوف الألماني إيمانويل كنت في القرن الثامن عشر.. ثم طوره العديد من الفلاسفة بعد ذلك.

المقدمة 1: إذا كان الله غير موجود، فلن توجد قيم أخلاقية موضوعية (ثابتة).

المقدمة 2: هذه القيم موجودة.

الاستنتاج: إذاً، الله حق.

الذي يجعل هذه المحاجة مُحكمة منطقياً هو أن الأغلبية من الناس

تتفق مع المقدمتين 1 و2، ومن ثَمَّ فإن الاستنتاج الأخير لابد أن يكون سليماً منطقياً، حتى دوكنز لا يعترض عليهما، فهو يؤكد دائماً أنه لا وجودَ موضوعياً للخير والشر، هناك فعل فقط، لكن برغم ذلك فالناس تميز جيداً بين الخير والشر، حتى وإن تعارض ذلك مع مصالحهم وقيمهم الخاصة.. إذاً، فهناك قيم موضوعية بالتأكيد.

يقول الملحد إن الأخلاق اكتسبها المجتمع المتحضر بالتجارب، ولكن سيبقى السؤال: من أين جاء الشعور بأن بعض الممارسات خطأ حتى وإن أقرها المشرع ومارسها المجتمع؟ ها هي الدنمارك، وبعد سنوات طويلة من إقرار ممارسة الجنس مع الحيوانات، تمنعه الآن، فهل يعتقد أي شخص يملك أدنى درجات القيم والمبادئ أن هذه الممارسة كانت صحيحة بتشريعها آنذاك؟ هذا ما نقصده عندما نقول (أخلاق موضوعية وأخلاق ذاتية)، (ثوابت أخلاقية ونسبية أخلاقية)، وبما أن الإنسان يميز الخطأ حتى وإن أقره المجتمع، إذاً فلابد أن هذه الثوابت الأخلاقية لها مصدر آخر غير المجتمع والتجارب.

يقول ديفيد برلنسكي في كتاب "الإلحاد ومزاعمه العلمية": "كان أحد قادة الحزب النازي أثناء قيامه بعمليات التصفية العرقية، وبرغم قناعته بأنه على صواب (قيم ذاتية وأخلاق نسبية)، يخشى أن تنزل عليه عقوبة من السماء في أي لحظة"، (واجب أخلاقي موضوعي وثابت). وبما أن المجتمع النازي ليس مصدر هذا الخُلق، إذاً فلابد أنه يأتي من مصدر آخر، لهذا كانت ولا تزال وستبقى هذه الحجة المنطقية من أقوى الأدلة على الوجود الإلهي.

الآلهة البيضاء المزيفة

وقف دوكنز يوم 24 مارس عام 2012 أمام حشد كبير من أتباعه في أكبر تجمع سنوي للملحدين "ريزن رالي" ليقول: "أنا ملحد متشدد ذو مواقف عنيفة ضد الدين، اسخروا منهم، قللوا من شأنهم". عندما سمعته، تذكرتُ أسطورة مخيفة عن ذلك الباحث عن الغُزل، ضعاف النفوس، غير المؤمنين بالله.. الشهير بالمستهزئ العظيم، مدمر الفكر، دونغور، شيطان الإلحاد، نفس الأسطورة تقول إن أكبر وسيلة لجذب هذا الشيطان (المستهزئ) وإرضائه، هي الانغماس في ممارسات جنسية قذرة تهدر الكرامة وتهدم العفة، مثل الحيوانية أو النيكروفيليا، ربط عجيب.. أليس كذلك؟ عموماً دعونا لا ننجرف خلف الأمر، فالاثنان في النهاية مجرد أساطير خرافية. يقول فرانسس بايكن (قائد الثورة العلمية الحديثة": (القليل من العلم قد يجعلك ملحداً، لكن الكثير من العلم سيقودك باتجاه الإيمان"[1]. إحدى الأفكار المرعبة التي يروج لها الإلحاد اليوم، والتي تجد قبولاً شعبياً واسعاً في أوساط العوام، هي نشر ثقافة الاحتفاء بالقشور والسخرية من الجوهر، "بمجرد أن تلحد فقد أعلنت انضمامك للنخبة المثقفة، وأصبحت بشكل آلي عالماً فذاً وفيلسوفاً كبيراً ومنطقياً محنكاً"!. هكذا نجحوا في الترويج لهذه

---

(1) Bacon, Francis (2002). The Major Works: Including New Atlantis and the Essays. Oxford University Press. pp. 95-96, 125.

الثقافة الكوارثية، فظهر جيل سطحي، سخيف، ضحل، ساذج، مثير للحزن والشفقة غالباً، وللغضب أحياناً، جيل استبدل الكتب بفيديوهات "دوكنز"، والمعرفة بإعلان الإلحاد، والجهد بصورة رمزية للعقل يضعها في حسابه على مواقع التواصل الاجتماعي لعلها تواري سوءَته وتعفيه من عناء البحث والاصطدام بالحقيقة، تلك الحقيقة التي لها متطلبات قد تنغص هواه وتهدم رغباته.

أكبر أشكال العبودية في عصرنا الحاضر هي التي يتم من خلالها برمجتك والتلاعب بك لتعتقد أنك حر، التوجيه غير المباشر هو أكثر ما يعاني منه الجنس البشري اليوم. جرِّبْ أن تبتعد عن الإعلام بكافة أشكاله لمدة يوم واحد فقط، التلفاز، الجرائد والمجلات، "السوشيال ميديا"، لمدة يوم واحد فقط، وستكتشف أننا مبرمجون، مملوكون، ونحب ذلك.

أكثر ما أغضب أكابر قريش عند بدء الدعوة الإسلامية هو مساواة العبيد بساداتهم، الوعي يعتبر في نظر المسيطر خطيراً ويجب محاربته، هذه هي الحقيقة في الماضي، والحقيقة اليوم، وستكون كذلك دائماً.

لمّا قامت الثورة العلمانية في فرنسا كان لها هدف واحد فقط، هو السيطرة على العوام وصنع عالم جديد، أكثر ما يقف في وجه هذا الهدف هو الدين، الدين يؤكد أن الإنسان مُكرّم عن الحيوان، يأمرك بألا تخضع إلا لمن خلقك، لذلك كان يجب إزاحته بأي شكل من الأشكال، وكأنهم يتساءلون: هل نستخدم

البابا للسيطرة؟ لا.. فهناك أديان أخرى. إذاً، لا يوجد سوى جهة واحدة كلمتها مسموعة عند الجميع، العلم، تحقيق ذلك يبدأ بـ"وهم" نقض الثوابت الدينية أولاً عن طريق الادعاء أن هذا ما يقوله العلم، لذلك بدأها هيوتن بإثبات قدم الأرض. بقيت مشكلة، آثار طوفان نوح، إذاً فلنستبدله بطبقات الأرض، ونعطي كل طبقة عمراً مختلفاً. ثم المشكلة الأكبر، الخلق والحياة، القيمة الموضوعية للإنسان وتميزه عن سائر الكائنات الحية، داروين والتطور بدلاً من الخلق، أو بمعنى أدق، الأصل الحيواني للإنسان بدلاً من التميز عن بقية الكائنات.

أول ما كانت تفعله قوى الاستعمار العسكري هو التحقير من تراثك، من معتقداتك، من قيمتك، عندها تستطيع أن تسيطر عليك بكل سهولة. نفس المنهجية تُطبق على الاستعمار الفكري، عندما تكفّل الـ3 بإخراج نظريات منافية لما جاء في الكتب السماوية، وبالأخص نظرة الإنسان لنفسه والحط من قيمته وتميزه، لم يبقَ إلا شيء واحد فقط؟ أن تحل الآلهة البيضاء المزيفة مكان الله، آلهة من العرق القوقازي المتفوق!

"نقطة التحول في التاريخ البشري ستكون عندما نعلم أن الإله الوحيد للإنسان هو الإنسان نفسه"، قالها بصريح العبارة هنري دي لوباك في "بيان الإنسانية الأمريكية" (ص: 10). نعم، الإنسان هو مصدر التشريع، يقول جيرمي ربفكن: "لم نعد نشعر بأننا ضيوف في منزل شخص آخر بحيث يكون من الواجب

التصرف بشكل متوافق مع مبادئ المضيف، نحن من نصنع المبادئ"[1].

قرأتُ الكثير من روايات الرعب التي تقشعر لها الأبدان، لكني لم أقرأ في حياتي أكثر رعباً من الجملة السابقة، ولأن العوام تبحث دائماً عن القيادة والتوجيه، إذاً لابد أنهم سيلجؤون إلينا، نحن الإله ونحن سنخترع الدين المناسب.

من هنا بدأت تظهر ما أسميها بأديان "نزم" أواخر القرن الـ19 وبداية القرن الـ20، كومنيزم، داروينزم، فاشزم، نازيزم، في نهاية الأمر.. أليس الدين مجموعة مفاهيم نرى الكون والحياة من خلالها؟ معظم هذه الأديان صارت متروكة أو سيئة السمعة لارتباطها بالقتل والمجازر المليونية، لذلك فإن كل ما تبقى لهم هو اختراع دين جديد له اسم جذاب، وعليه فقد توصلوا لدين اسمه "الإنسانية" Humanism، مثل اللص الذي يريد خداع الناس وإخفاء حقيقته عنهم، فيقوم بتأليف كتاب اسمه "الأمانة"!

كغيره من الأديان السابقة (المصنوعة يدوياً)، فإنه يحرص منذ البداية على ترسيخ أهم ما يتشارك به مع الأديان السابقة وهو نفي الوجود الإلهي، هذا التأكيد مهم جداً، فمن دونه ستنهار التعليمات التي تفرضها الطبقة المتألهة على العوام، ومعها ينهار الهدف بفرض العبودية والاتِّباع. مثل أي دين فإن الإنسانية تحتاج إلى صياغة تشريع جديد، لذلك فقد تولى كلٌّ من روي

(1) Jeremy Rifkin - Alguien - p. 244.

وود سيلار، ورايموند براق (كلاهما من العرق القوقازي الأبيض) صياغة بيان "إنسانيون" رقم 1 للعام 1933، حيث ذكر البيان حرفياً أن الإنسانية "دين جديد" يتبنى العلمانية ويسعى لاستبدال الأديان المعاصرة دون أن يحتوي على ظواهر ميتافيزيقية..، بقية البيان يتكون من 15 نظاماً إيمانياً تُردد نفس الأسطوانة التي كانت ترددها بقية أديان "نزم"، كالمساواة والعلموية والحرية والعدل وقدرة الإنسان على صياغة نظام أخلاقي دون الحاجة إلى مرجعية أخلاقية مقدسة[1].

ثم في البيان رقم 2 للعام 1973 الذي كتبه كلٌّ من بول كرتز وإيدوين ويلسون (أيضاً من العرق القوقازي الأبيض) تغيرت النبرة قليلاً بسبب مآسي الحرب العالمية الثانية، حيث تم الاعتراف بأن نظرة التفاؤل بالخير في البشر لم تكن صائبة، ومع ذلك لم يتعلموا من الدرس، فعاد البيان ليؤكد عدم الحاجة للمرجعية الأخلاقية الموضوعية في 17 نظاماً إيمانياً، أهمها ضرورة كسب المعركة في مجال التعليم؛ حيث كتب جون دينبي في البيان: أنا واثق بأن كسب معركة المستقبل ينطلق من الصفوف الدراسية، يجب على المعلمين أن يروجوا لإيمان جديد، دين الإنسانية[2].

ثم البيان رقم 3 عام 2003، الذي جاء ليؤكد نفس الطوام السابقة كالعلموية والتطور العشوائي ونسبية الأخلاق، والـ3 هي الهدف من

(1) "Text of Humanist Manifesto I". Americanhumanist.org.

(2) Dunphy, J., A Religion for a New Age, The Humanist, January-February 1983.

هذا كله. أما البقية فمجرد ذرٍّ للرماد في العيون! هذه البيانات تمثلها اليوم جمعية "إنسانيون" الأمريكية التي تأسست عام 1941.

هذا هو دين الإلحاد الجديد ورؤيته العالمية، والتي يجادل الكثير من الملاحدة ويدعون أن الإلحاد ليس ديناً، بل ولا حتى رؤية عالمية، والسر في هذا الرفض يكمن في أنهم لو أقروا بذلك فهذا يعني أنهم ليسوا مستقلي الفكر كما يزعمون، ومن ثَمَّ فذلك إثبات على أن امتلاك كل فرد لرؤيته الخاصة دون تبعية لأحد هو مجرد خرافة لا وجود لها! على نفس منهج الكنيسة هم يروجون طريقاً للخلاص الجماعي والنهوض الأخلاقي للجنس البشري، لكن من خلال العلم التجريبي فقط. هذا الحلم الخيالي بصنع الإنسان الكامل "ألفا هيومن"، وقيام المجتمع المثالي، فكرة أنهم يوجهون البشرية نحو الخلاص الجماعي عن طريق العلموية والفلسفة العدمية هي واحدة من أخطر الأفكار التي يمكن تخيلها، فقد أثبت التاريخ مراراً وتكراراً أن من يسعون نحو ذلك دائماً ما يعودون لإقصاء البشر بدعوى تقدم البشر، يجب إزاحة المخالف لأنه سيكون من معوقات هذا الخلاص الجماعي في السعي نحو المدينة الفاضلة، هذا الأمر يظهر جلياً ضد الإسلام على وجه الخصوص، حتى صار الملاحدة الجدد مشهورين برهاب الإسلام دون غيره.

مساء يوم 29 يناير 2017، فتح الشاب الكندي ألكسندر بوسنيت النار على المصلين في مسجد بمدينة كيبك الكندية، فقتل 6 أشخاص وأصاب 8 آخرين، وهو نفس المسجد الذي

تعرض لعملية تدنيس شهر رمضان الماضي من عام 1438هـ، عندما وضع مجهولون رأس خنزير على أعتاب المسجد[1].

"رأينا المشهد يتغير بدءاً من التحرش اللفظي وانتقالاً إلى التخريب، ثم انتهاء بالاعتداء المسلح"، يواصل عمران صديقي مدير مركز حقوق الإنسان الإسلامي (كير): "ومع كل خطوة مما سبق كنا نصرخ: أُنظروا، رهاب الإسلام حقيقة، لكن بلا جدوى"[2].

وكأن الزمن يعيد نفسه، العنصرية التي ظهرت على السطح في أمريكا بشكل رسمي الآن هي نسخة "معدلة" لما حدث ما قبل الثورة الفرنسية، منذ عام 2004 والمجتمع الغربي يتعرض لعملية شحن عدائية ضد الإسلام والمسلمين، كان ولا يزال الملاحدة الجدد يشكلون أحد أكبر روافدها. بعد أحداث 11 سبتمبر الإرهابية وجدت عصبة الإلحاد اليميني الليبرالي العذر لكي تروج لسيادة العرق الأبيض بحجة الحفاظ على القيم العلمانية الغربية (البيضاء(. فمثلاً: دوكنز يردد دائماً أن الإسلام أكبر شر في العالم[3]. سام هاريس دعا صراحة في كتابه "نهاية الإيمان" (ص: 129) إلى ضرب العالم الإسلامي بالقنابل النووية كإجراء استباقي، ثم أكمل ليبرر استخدام أساليب التعذيب بأنها شكل منطقي من الاستجواب، إنهم يضعون الإسلام في صورة أشخاص

---

(1) العربية - 30 يناير 2017.

(2) Middleeasteye.net - Wednesday 1 February 2017.

(3) Salon Richard Dawkins does it again: New Atheism's Islamophobia problem AUG 10, 2013.

أو منظمات إرهابية لا تتعدى 0.5 % من مجموع عدد السكان في العالم الإسلامي، ثم يهاجمون هذه الصورة التي صنعوها بعد أن يضعونا فيها أيضاً بسبب فئة صغيرة ومحدودة "نحن أول من يحاربها ويكتوي بنارها".. يريد هاريس أن يقتلنا جميعاً لأننا في نظره نمثل شيئاً هو يراهُ خطيراً.

"الغريب هو أن نفس الجهات العلمانية الملحدة التي جنّ جنونها، ورفعت الدعوات القضائية لمنع بناء مسجد بالقرب من موقع هجمات 11 سبتمبر الإرهابية بحجة أن ذلك يُشعرهم بالإهانة، هم الذين أيدوا نشر الرسومات المسيئة، واستهانوا بمشاعر مليار و600 مليون مسلم"!، هنا يظهر جزء صغير جداً من هذه الشوفينية المفرطة، ويثبت أن مشروعهم العالمي بالفعل غير قابل للاختلاف. ومن المفارقات العجيبة أنهم يشتركون مع الجماعات الإرهابية في نفس هذه الصفات الإقصائية والادعاء بامتلاك الحقيقة المُطلقة، كلاهما مُصاب برُهاب المختلف.

من يقومون الآن بالدفاع عن حقوق المسلمين في أمريكا يجب أن يقذفوا كرة اللهب في حجر سام هاريس، دوكنز، بيل ماهير وغيرهم ممن يتبنون الموجة التي حولت الإسلام إلى مكارثية جديدة، لم تعد هناك مبررات للعقلية التي زرعوها في أذهان الناس، وها نحن الآن نشاهد أولى ثمارها الفاسدة، والبعض منا يملك من السذاجة ما يجعله يعتقد أن مثل هذه العقليات لا تمانع في مخالفتها وتملك عقلية متفتحة تقبل الرأي الآخر وتشجع على حرية المعتقد.

الخطر الحقيقي في مثل هذه الأهداف يكمن في تحويل الرؤية الذاتية والمصالح الشخصية إلى مشروع عالمي، يقول الكاتب الملحد كلنت فلنتلي: "اتضح لي أن الإلحاد الجديد لا يدعو إلى حرية المعتقد، بل إلى فرض المعتقدات الشخصية على الناس، وهو شيء لا أريد المشاركة فيه"[1]. وهذا يكشف زيف دعواهم في الترحيب بالآخر المختلف عنهم، لذلك ومع أول تصادم، فإنهم سرعان ما يبدؤون بممارسة الشر في أبشع صوره، ليس لأنهم أشرار أو يحبون ذلك، بل لإيمانهم بأن هذا ما تقتضيه المصلحة البشرية، ليس من قبيل المصادفة أن يتم مخالفة كل الثوابت الدينية.

الإسلام	الإلحاد
التكاثر وإعمار الأرض	تقليص عدد السكان
الأخلاق الثابتة	الأخلاق النسبية
الله مصدر التشريع	الإنسان مصدر التشريع
تمييز البشر عن الحيوانات	تأكيد الأصل الحيواني للبشر

الإلحاد الجديد ليس دعوة لتحكيم العقل والعلم والمنطق، بل رؤية وهدف تمت صياغته بشكل واحد غير قابل للتعدد، دعوة إلى التقسيم، إلى الإقصاء، دعوة إلى تحطيم الطبيعة الإنسانية في الاختلاف والتعدد التي طالما ميزتنا كبشر.

---

(1) Why I Drifted Away from the Atheist Movement FEBRUARY 11, 2015 / KLINT FINLEY Technoccult.net.

"**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**" [الحجرات: 13].

هؤلاء من أعمتهم الطباوية المزعومة فعجزوا عن رؤية الحقيقة، وهي أن الإنسان منذ فجر التاريخ حتى اليوم كان ولا يزال وسيكون قلبُه دائماً معلقاً بالسماء، هم يعلمون أنه لن يتغير شيء بمجموعة من المختلين تصرخ وتشتم وتستهزئ من هنا وهناك، لذلك ستشكل رؤيتهم خطورة دائمة على المجتمعات البشرية، لأن هذه الرؤية هي نفسها التي تسببت في مرور البشرية بأقسى قرن في تاريخها، القرن الـ20، والفارق الوحيد هو أن من امتلكوا نفس هذه الرؤية الطباوية آنذاك كانت حكومات تملك الأسلحة ولديها السلطة على رقاب الناس.

رؤية حاولوا تحقيقها على أرض الواقع، فقطعوا شريان الإنسانية، ونزفت الأرض باللون الأحمر، الكثير لم يفهموا ما الذي كان يقصده نعوم تشومسكي عندما قال: "سام هاريس والملاحدة الجدد يؤمنون بدين الدولة (العلمانية)، وهو أخطر بكثير من أي دين آخر"؛[1] فهل فهمتَ ما يعنيه الآن؟!

---

(1) مقطع فيديو بعنوان:

"Noam Chomsky calls Christopher Hitchens and Sam Harris "Religious Fanatics

خاتمة

"الله امتحنني بمرض باركنسون ليخبرني بأني لست عظيماً.. هو العظيم سبحانه"[1].

عندما سأل مقدم قناة NBC أسطورة الملاكمة محمد علي عن تأثير مرض باركنسون عليه، قال: "إنه امتحان من الله، امتحان بالألم، بالفشل، بالمعاناة، أتمنى أن أكون على قدر هذا الامتحان. قبل أن آتي لهذا اللقاء التلفزيوني معك، نصحني البعض بألا أذهب حتى لا أظهر بصورة مختلفة عمَّا في أذهان الناس عني، لكني خشيتُ أن يكون هذا من الكبر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"، لذلك أتيت"[2].

"لن أنسى أبداً اللحظة التي نطقتُ فيها بالشهادة لأول مرة، لقد كانت بالنسبة لي هي اللحظة الأصعب في حياتي، ولكنها الأكثر قوة وتحرراً".. يواصل بروفيسور الرياضيات الأمريكي د.جيفري لانغ (ملحد سابقاً) كلامه قائلاً: "في لحظة من اللحظات الخاصة في حياتي، منَّ الله بواسع علمه ورحمته علي، بعد أن وجد فيَّ ما أكابد من العذاب والألم، وبعد أن وجد لديَّ الاستعداد الكبير لملء الخواء الروحي في نفسي، فأصبحت مسلماً. قبل الإسلام لم أكن

(1) Greatislamicquotes.

(2) NBC interview mohamed ali on parkinson's disease.

أعرف في حياتي معنى للحب، ولكنني عندما قرأت القرآن شعرت بفيض واسع من الرحمة والعطف يغمرني، وبدأت أشعر بديمومة الحب في قلبي، فالذي قادني إلى الإسلام هو محبة الله التي لا تُقاوَم. الإسلام هو الخضوع لإرادة الله، وطريق يقود إلى ارتقاء لا حدود له، وإلى درجات لا حدود لها من السلام والطمأنينة. إنه المحرك للقدرات الإنسانية جميعها، إنه التزام طوعي للجسد والعقل والقلب والروح"[1].

في تعليقه على الفظائع التي أُرتكبت باسم التنوير إبان الثورة العلمانية الفرنسية، يقول المفكر السياسي الإيرلندي إدموند بيرك: "نحن نعلم أفضل من ذلك، نعلم أن الدين هو أساس بناء المجتمعات ومصدر الخير والطمأنينة، نعلم أن الإلحاد ليس فقط ضد المنطق، بل ضد حتى الغريزة، لذلك فلن يسود طويلاً"[2].

لا توجد فكرة عبر التاريخ أكثر أنانية من الإيمان بأنه لا توجد قيمة أعلى من ذاتك ورغباتك! تحقير المعنى الموضوعي للإنسان والنظر إليه كحثالة كيميائية دبت فيها الحياة بالصدفة لهما وقع مدمر على الضمير.

الإيمان بأن الإنسانية مجرد حادث، وأن الدين من معوقات صراع البقاء لطالما كان ولا يزال من أهم أسباب الحروب والمجازر الجماعية! جاء في مذكرات رئيس أركان هنجاريا عن الحرب

---

(1) Jeffrey Lang - Struggling to surrender.

(2) Excerpt from Reflections on the Revolution in France, by Edmund Burke, 1790

العالمية الأولى: "إن الديانات الإنسانية والتعاليم الأخلاقية والمذاهب الفلسفية قد تؤدي أحياناً إلى إضعاف صراع بقاء البشرية في شكلها القاسي"[1].

ما أقساه!.. عالم يخلو من الله والدين، ومجتمعات تحكمها العلموية ونسبية الأخلاق، مشهد ناقص وسياق محذوف، وقافية مكسورة، بناء بلا أعمدة، بحر هائج من الحزن والكآبة؛ فلا حساب أو عقاب، لا مرجعية أخلاقية، لا غائية، لا تميز، لا سمو، لا عفة، لا تضحية، لا إيثار، مجتمعات "معاقة أخلاقياً" تحتفل بثقافة العدائية والبلطجة، وأفراد يبحثون عن الأنا في ظل صراع الأعراق المفضلة.

الإلحاد يكتب قصة عنوانها "الإنسانية" عندما تقلب صفحاتها تفقد إنسانيتك بالتدريج مع كل حرف، هذا هو البديل الذي يقدمونه للبشرية، وهو ليس بالسوء الذي تتخيله، بل أسوأ بكثير. لذلك دعا الفيلسوف الإنجليزي الكبير جون لوك إلى انتشار خلق التسامح في كل شيء ما عدا الإلحاد؛ لأنه يقوض النظام الاجتماعي ويؤدي إلى الفوضى[2] : "القسم والوعود والعهود التي تشكل أواصر المجتمع البشري ليس لها أي قيمة عند الملحد، غياب الله في الفكر يُذيب كل شيء"[3].

---

(1) James Joll, Europe Since 1870: An International History, Penguin Books, Middlesex, 1990, s. 164.

(2) Jeremy Waldron; God, Locke, and Equality: Christian Foundations in Locke's Political Thought; Cambridge, UK; 2002; p.217.

(3) John Locke A LetterConcerning Toleration; Translated by William Popple

ويؤكد نفس المعنى الأديب الروسي الكبير فيودور دوستويفسكي قائلاً: "عندما يغيب الله، فإنه ليس من المستبعد أن يُضحّى بالأخلاق نفسها ويُطلق العنان للرعب والفوضى في العالم"[1].

قد يكون هذا السبب هو ما جعل الإلحاد منبوذاً طوال التاريخ؛ فبعض الأشياء كان يجب أن تبقى من حيث جاءت، في الظلام إلى الأبد، أما وقد خرجت، فلم يتبقَّ لنا سوى المواجهة شئنا أم أبينا. هناك حرب قائمة الآن، حرب فكر وقيم ومبادئ، حرب أخطر بكثير من تلك التي تُستخدم فيها الصواريخ والطائرات والدبابات، حرب هي الأكبر في التاريخ ونحن ساحة المعارك، حرب ليست على الإسلام فقط أو حتى الأديان عموماً، بل هي حرب على كرامة الإنسان وتميزه عن بقية المخلوقات، حرب تذبح الغاية من الوجود، وتنتهك كل القيم الموضوعية التي بُنيت عليها الحضارات الإنسانية، حرب ضد الثوابت الأخلاقية التي ميزتنا عن الحيوانات، حرب على الإنسانية والمعرفة باسم الإنسانية والمعرفة.

هي رواية ملحمية في الصراع بين الخير والشر، قرأتُ آخر سطورها فوجدته يقول: "**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**". [سورة الأنبياء: 105].

تمَّ بحمد الله

(1) Dinesh D'Souza. "Answering Atheist's Arguments."; tothesource (December 6, 2006).

فهرس الموضوعات